ما زال الحلم يؤلم

محمد ناجح بلال

اسم الكتاب : ما زال الحليم يؤلم

اسم الكاتب : محمد ناجح بلال

تصميم الغلاف : مي مجدي

تنسيق وتدقيق لغوي : نورهان هاني

رقم الإيداع : ٢٠٢٥/٢٣٧٣م

الترقيم الدولي : ٤-٧٥-٨٧٩١-٩٧٧-٩٧٨

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

ما زال الحلم يؤلم

مؤسسة الكاتب العربي
The Writer Operation

إهداء

إلى أمي وأبي أولًا.. ومن ثم لصديقي العزيز إسلام عرابي.. ولصديقي الوحيد وأخيرًا

للعلاقات التي خذلتني وعلمتني بأنهم مفتقرون صلة الود والنيات الصافية وكأنهم مقتنعون بأن الوشاح

الأسود لن يتفكك من عينيّ..

المقدمة

انحلالي عن طبقات الطاقة غير المفيدة كانعدامي عن بناية مشاعر مرهقة أخرى والتأسف للواقع، وحسن اختيار رفقاء السطحية فقط، وانعدام ثقتي بالوطن قبل الأفراد، واشتباه الكون بأنه غير لطيف، والتأكد من مصداقية الانعزال والتخيلات التي أختلقها من باطني واشتهائي للأنعزال ما زال مستمرًا، ما زال صراخ الأمهات يدور برأسي وكأنه تم قتل أطفالهن بوحشية الواقع، وصراخ الزوجة بليلة زفافها عندما أصاب محبوبها بحادث أمام عينيها بين حشود هائلة التي ما زالت متوقعة بأن الحدث الذي أمامهم غير حقيقي، ولكن الحلم ما زال حقيقة، وصراخ الطفلة المتسولة فاقدة أخيها البكر بين الشوارع ما زال يؤلم أعصابي ويتم التهام قلبي بكل حين يتم البعد عن تلك الأنياب الصوتية، البكاء لن يفيد فيصمت جميع ما يحتوي جسمي الخارجي ويتم عقابي بدون مبرر، والواقع ما زال مؤلمًا، أبي.. هل لصوتك القوي أن يحميني عن تلك الآلام مثلما دافعت عني من ذي قبل، ورأيت شجاعتك أمام الجميع، وتحولت لوحش لقصاصي أمام من كانوا يلهون لإخافتي؟ تحسنت جميع مخاوفي بوجودك وأردت أن تبقى معي للأبد، ولكن الوجود لن يجعل لي فرصة لذلك. والآن أحاول بناء وجودي كي أحرق جميع من آذوني حتى ينحنوا لي، ولن أرحم من خلق لانعدام طيب القلب، وسأسقيهم فطورهم سمومًا كي يتألمون ويتم تلذذي بمعاقبتهم.. همجية مستقبلي لطيفة بعض الشيء..

ترحيب

استدعائي من بين شعب مختلف الطبقات من أميرة البلاد، وأتعجب عن تمييزي واستدعائها لي، وأتفقد عقلي هل لي ذنب سأعاقب عليه، أم سيتم ارتقائي لمهنتي لتستفيد من خبرات تم مروري بها؟ ذهبت لها أمر بجانب حراس مملكتها وأراها أمامي لأول مرة بتاريخ مشاهدة عيني، تحتسي أمامي كأس نبيذ وأتعجب من تمسكها المتمكن بأصابعها للكأس وكأن صورة يديّ هي المتمكنة لدرجة اشتهائي للذهاب للمنزل لأحتضن كؤوسي وأتلذذها.. انتبهت لطريقة إشعالها للسيجار، وكأنني استنشق دخانها بدلًا عنها بالرغم من اختلاف جنسينا ورقة شفتيها تؤثر بلذتي عن تلك الفتاة التي عشقت ممارسة الحب معها. أصابني اختلال عندما حدثتني، وأظن أن ذلك المشهد لن يتكرر.

الأميرة : لاحظت قعدتك في الكافيه وكانت غريبة، لمصلحتك تقولي كنت بتعمل إيه وبتخطط لأيه، والإنكار مش هيفيدك لأني عارفة عنك كل حاجة، وبلاش جو الرقي اللي إنت عايش فيه وخليك صريح.

انذهلت قليلًا لكلماتها ويصيح عقلي لي ويجذبني بأن أدعوها بالمتعجرفة، ولكني أتماسك مع نفسي وأرد عليها..

- أنا كل اللي بعملو في الكافيه بقعد مكاني بشرب القهوة والسجاير، وأوقات بحب أكتب، غير كدة مظنش إن في شيء خطير هضر بيه، غير كدة كمان لما بيكون في شغل بروحو ومن البيت للشغل ومن الشغل للبيت.

أثرت انتباهها بتوسع عينيها لي وتأخذ شهيقًا بسيجارتها وتزفره باتجاهي وتتوسع عيناي غضبًا وأحدق بأعينها. ثم قامت بتنزيل السيجارة لطبقها الذهبي المخصص لدخانها وقالت لي وهي متمكنة من ذعرها الذي كشف لي من خلال أعينها..

الأميرة : أنت أكيد عارف بتتعامل مع مين، وأكيد لازم تفهم وجودك، لأنك هتكسب مهنة محترمة وهتكون معايا عشان في ناس بتأذي من تحت لتحت وأنا مبخدش بالي في أوقات كتير وأنا كدة كدة هكون حمايتك، ولو هتعوز حاجة قولي، بس قولي أنت خاطب ولا في بالك حد عشان أعرف حكايتك اللي أنت عايشها دي.

تعمدت أن تهدأ عيناي من الغضب، ولكن ما زلت أحدق لها متحدثًا متعجبًا من اختيارها لكونها مجرد أن رأتني فقط على مقهى شبابي.

- عيوني حاضر.. وأنا متواجد لحضرتك وشرف ليا تختاريني لشغل بس عايز أعرف الشغل عبار عن إي؟

أجابتني بنبرة هادئة وأثارني سكون جسدها الذي يشتد له عقلي وغريزتي بالممارسة الحميمة بالرغم من أن هذه العلاقة أعتبرها علاقة تهدئة لنفس من بعد عفوية هجومي على فريستي التي هيأتها بأن تكون تحت سيطرتي.

الأميرة : شغلك هيكون معايا على طول زي مثلًا المستشار اللي بستشيرو في أي حاجة بس أنت هتفرق عنه بإني هحكيلك حاجات حساسة عني وإن السر طلع برة أنت فاهم العقاب غير إن محدش هيصدقك.

اختلال تفكيري بعض الشيء وانذهالي لكلماتها غير الواضحة ويراودني سؤال متكرر بلمَ تم اختياري من بين الشعب؟ إذن إن هناك الكثير أفضل خبرة مني وأكثر تدفقًا بالمهن الاستشارية، لقد وفقت الرأي بعض الشيء وانحدرت لمنزلي مستلقيًا لسريري وما زالت التساؤلات تحير عقلي، كان لي فضول بأنني سأرتقي بمهنة راقية

أفتخر بنفسي بها أمام العامة والشعوب ويتم وضعي بمكانة متواضعة ولكن تلك المهنة غير المحددة سرية وكذلك بخطورتها من أخطاء وملزم الآن بأن أتفادى عقوبة غير مفهومة ولكنها بأقرب البسيط للعقل ستكون مؤلمة لأنها من خلال أميرة لا يعلم عنها عقل هل طاغية أم ديموقراطية..

مر يومان بدون تجديد الأيام وما زلت ذلك الشاب الذي يتمادى على صحته بالنيكوتين ويهلك قلبه بالكافيين، تحركاته محدودة ما بين المقهى والمنزل ولكن بلحظة أتتني مكالمة غير معروفة أجاوب متسارعًا مبالغة متهيئًا بأنالأميرة هي التي ستبدأ بكلمات الترحيب ويتم سؤالي عن اسمي بصوت ذكر أربعيني وأجاوبه بأنني ذو صاحب الاسم الذي لا بد أنه سيقع بالمشاكل بعض الشيء، تنبؤاتي غريبة بعض الشيء ولكن اهتزازي بالحدث ما زال غريبًا لعقلي ويتم تحديد موعد مقابلتي بالأميرة في صباح الغد بعد الظهر مباشرة، أحضرت ثيابي على جسدي وجهزت النيكوتين الرفيق المؤثر بطبيعتي ووضعت عطري الخاص المحبب لشهيقي بعد دخان سيجارتي، يتمادى عقلي بعض الشيء بأنه يجب ممارسة بعض الرسمية بالملابس كتلك المناسبات كالزفاف ولكن حبي لطبيعتي يتغلب عليّ، ذهبت للقصر المذكور بالنعيم ولكن عقلي يمارس القلق بعض الشيء منه بأنه جحيم فيما بعد، سلمت عقلي للأحداث التي ستحدث وتم توصيلي للأميرة من قبل الحراس وكأن رئيسًا قادمًا من دولة قوية ثم رأيت جمالًا بملابس سوداء متفتحة تشتهي الجبال بتقبيلها ويفوق تحديقي لوجهها المبشر لنعيم الجنة وكأنها حور عين خصصت للمؤمنين بالآخرة، تحدثت معي بكلمات لا أظن أنني انتبهت لها متأثرًا بجمالها، الذي اختلف عن تلك الجالسة على عرش المملكة سيجارتها واختل عقلي بتفوه كلمات الحب والتعبير المتجمل الشاعري بما أثرت بي من جمالها وقد بدأت بابتسامتها وكأن تم فتح النافذة ما فوق ناطحات السحاب ويسطع

بوجهي بريق الشـــمس المليء بـالآمـال غير المحدودة وأتمنى أن لا ترخي شفتيها حتى أتشبع بتلك الابتسامة التي أصابت قلبي تألمًا محببًا لها ويتم حديث بيننا بعدما طلبت مني أن أجلس أمامها على طاولة بها كؤوس النبيذ للضيافة وتعطيني سيجارة سميكة ليس لتلك التي اعتدت عليها ولكنها أحدث وأرقى من أكثر الأنواع غلاء قد رأيتها من قبل، طمعت بأخذها من يديها الراقية متشـكرًا بنبرات مسـحورة لها وبينما تشعل السيجارة واستنشق دخانها المميز، وصدر من فمها (كحه) من أول نفس لها وتندهش بأني لم يصـــدر مني ذلك الموقف وبأنها متيقنة من أنني ولأول مرة استنشق ذلك النوع من التبغ المميز ويتم سؤالي لها اطمئنانًا بها ثم هزت رأسها مجيبة بأنها بصحة جيدة وأن لا أبالي بذلك الموقف الصـــادر من رئتيها المعبئة بالنيكوتين ويدور حديث آخر..

الأميرة : إيه رأيك في المكان ده؟

- لطيف جدًا.. بس عجبني السيجار بأمانة.

الأميرة : اعتبر إنك هتتعود على النوع ده عشـان مرتبك هيكون عالي وطبعًا ده مقابل شغلك.

- تمام عيوني.. بس في حاجة عايز أعرفها منك بما أننا هنكون بنتكلم كتير وهيكون بينا شغل، أنا هناديكي بإيه واحنا بينا وما بين بعض، والمعاملة هتكون عاملة إزاي، وهيكون قدام الناس هيكون عامل إزاي.

الأميرة : أنت يا أســتاذ محمد هتناديني باســمي وقدام الناس هتكون عادي زي بقيت الشعب.

- طب تمام.. بس أكيد هتناديني باسمي يا (ليل) وشكل العشم هيكون بنا كبير مش قصـــدي هيكون بنا كبير أوي يعني وهيكون بينا حدود مبهمة.

الأميرة : ده كله معروف.. مش هتشرب حاجة؟

- هكون عـايز قهوة لأن متحلاش السـجـاير غير مع القهوة وبالذات التبغ ده عايز فنجان قهوة غامق سادة مفهوش ذرة سكر.

الأميرة : شـكلنا هنقعد هنا كتير ونتكلم أكتر من الشـغل، لا بقا أنا مش عايزة لعب في الشغل واستهتار.

- مش ممكن يعجبك وقت الشغل أكتر من العزومة دي؟

الأميرة : ممكن برده.

بدأت بعض الشيء بالتركيز بملامح وجهها لكي أدقق أكثر بتفاصيل شـخصـيتها وألاحظ تلاعب أصـابعها وهزات أقدامها وهي تحاول أن تقاوم توترها بعض الشـيء وتحاول أن تحدق بعينيّ لتلاحظ لونهما وملاحظ جدًا إعجابها بتصـرفاتي، لأول مرة لن أشـعر بتشـدد بتلك اللحظة إذن إن إعجابي بالتبغ قد سحرني أكثر منها والقهوة التي قدمت لي في منتهى الجمال المذاقي الذي جعلني أركز أكثر بخيالي وأتلذذ بسحب قلمي وأوراقي لكي اكتب كل ما حدث ببالي، حتى تصرخ يداي تعبًا ولكن للأسـف لن يحدث ذلك في الوقت الحالي، لاحظتالأميرة بأنني غارق بخيالي من صـمتي اللافت للانتباه ونظرتي المفهومة المتأملة وأنا أتلذذ بقهوتي الممتعة وتحدثني بكل جرأة، مشتتة للحظاتي السـعيدة وتسـألني عن ما يدور بعقلي وكأنها تريد أن تتفقد حياتي وتتسـاءل بأن لي حبيبة أم لا أم فارقت في يوم ما زوجتي أم حبيبتي التي أعشـقتها كتلك القصـص الغامرة بالواقع ولكنها لن تتفهم بأنني أراها سـاذجة العقل والتنبؤ، أرى أنه سـيثير جدلها أكثر نسـبة لقبضـة يديها الرقيقة وتنظر لي بغضـب غير ملحوظ متسـائلة بتدخلها لحياتي أكثر وأنا أتعمد أن لا تتفهم تصـرفاتي وكأنها أمامي الآن غارقة بمحيط ولا يابس قريب منها ولا فائدة من السـباحة حتى النجاة، إذن أظن أنه سـيصـدر منها مفاجأة عظمى وتوقعي لذلك لن يخيب.

الأميرة : عايز أسألك كام سؤال وتجاوبني وهنكون صراح ديمًا مع بعض حتى لو الأسئلة دي حساسة سواء كانت بخصوص حياتي أو حياتك.

- أنا معاكي أهو.. اتفضلي اسألي في أي وقت وأنا كدة كدة معنديش حاجة أخبيها غير بمزاجي.

الأميرة : أنا عيزاك تتخيل معايا حاجة بسيطة، افرض إنك أمير وحبيت واحدة جميلة بس العلاقة بينكم قبل ما تترقى للمستوى اللي أنت فيه والظروف مسمحتش بينكم إنكم تكونو سوا بسبب المكانة اللي أنت بقيت فيها، بس أنت لسة فاكر كل ذكرى حصلت بينكم وزعلان على اللي اتهدم وبعد ده كمان هي تتجوز ومتفكرش بيك لدرجة إن النسيان طلع سهل بالنسبة ليها وهل أنت هترضى؟

- وهل هتعرف تستحمل ولا موقفك إيه بعد كدة؟!

لاحظت إن الصراحة منعدمة بالرغم من تلامس الصراحة المخبأة وأتيقن يقينًا كاملًا أن ذلك المثل هي لن تعيشه، يتبين بأعينها الكذب في بداية الحديث، تلك القصة واردة لكن ليست حقيقية بتاتًا حتى باختلاف الأدوار التي خلقتها إذن إنها لن تتعلق بالحب الأعمى مع شخص قريب لها، وإنها اختلقت الحب لكي تعيش علاقة فشلت قصتها، حتى تتساوى بالمشاعر كالإناث وبالرغم من ذلك إن هناك إناثًا في ثرائها تتمتع بالعُهر ولكنها ليست بعاهرة وصفاء القلب بارز خارجيًا وملحوظ والجحيم وقت الغضب يجب الحذر منه، اشتهاء عقلي بأن أحلل شفتيها وهي متحدثة عن التخيلات المختلفة وتيقنت بدقائق أنها كاذبة ولكن سأتأمل الامور وليس بمبالغة لأن المبالغة ليست من طباعي.

- القصـــة دي واردة في أي فيلم ومتوقعة جدًا بالحزن ولكن أنا مختلف، أنـا أكيد هكون زعلان جدًا بس هختلف مع الوقت وهلاقي بديل لاني ذكر والقوة الداخلية طبع فيا، أنا ديما قادر الاقي بديل بس باختياري وأنا مش بحب ابدل وأنا باخد وقتي ولو بالسنين، لغايت ما الاقي نفسي متعلق بحد غصب عني.

الأميرة : أنت اغلب مزاجك اللي بتحبة ايه بقا.. وعايز افهم ايه اللي بيخليك مندمج زي ماشفتك في الكافية كدة.

- هو أنا متقلب الحال وبحب تقلباتي جدًا، اوقات تلاقيني سرحان واوقات وأنا بكتب وبحب اسمع اغاني جدًا وأنا بكتب اهتمامي الاغلـب مش مفهوم لكن أنـا اختيـاراتي دايمـا بتكون لوحـدي لاني برتاح كدة وبكون مبسوط للي بخلقو لنفسي.

الأميرة : بس ليه بشــوفك بلاقيك زعلان وكئيب في نفســك واختيارك لهدومك كمان سودا وعايش الدور بالظبط.

- لا أنا مش مكتئب ولا الكلام ده، أنا وضحتلك اني متقلب ممكن اوقات زعلان لكن مش مكتئب واختياري لهدومي لاني بحب الألوان الغـامقـة وعلى فكرة عنـدي فواتح لكن على حســـب المزاج بس.

تحليلي للأميرة المبجلة ذات الجســم اللطيف المشـــدود لجزء من عقلي المنجذب للمعارك الحميمية أكثر من ذي قبل وكأن أمامي ورقة مليئة بتفاصيل مبسطة يمكن التنبؤ بمستقبلها البسيط، أتداعب بتحركاتي حتى تحتار أمامي وهي تحاول أن تســتجيب ما يصــدر أمامها، أحببت مداعبة عقلها والحيرة بداخلها تكتثر بعد كل ثانية تحاول تعمق ما بداخلي، ولكن هل ســتبوح عما بداخلها بصــدق أم ســتتعمد الاختباء أمامي، بعد آخر رشـــفة من القهوة أنظر إليها بطريقة أتعمد أن أخيف

من أمامي والقسوة بعينيّ لن تتوقف وأتلاعب بأصابعي أمام الطاولة للأعلى قليلًا لتلاحظها، بدأ توترها أمامي ببساطة وأنجح كعادتي في أن أنهي ما كانت تتوقعه بالتعمق بي وتتحدث بكلمتين سؤالًا عن نظراتي، وأجاوبها مهزوز الرأس بأنها طبيعتب وأمتص ما بداخلها من كلمات بتحركات شفتيها التي كانت تخبئ ما أرادت أن تفصح عنه، أشعلت أمامي سيجارة جديدة لكي تهدأ من توترها ولكن ما زلت أتمكن ما بداخلها، هذا أنا.. لا أحد يتحدى نظراتي وكلماتي التي بنيتها لنفسي بعدما خدعت من جميع ما التقيت به، خدع الواقع كفيلة أن تجعلك قاسيًا أمام من وضع أمامك الحليب لكي تتغذى، والآن أتوقع وأتنبأ لم وضع لي الحليب ليستفيد من طاقتي بعد حين أم يحب الغذاء لي مثل أمي، ما زالت تنظرالأميرة ليديّ ولكن نظارتها الآن مستسلمة أمامي بعد تحديقي الغاضب بعض الشيء لها، تفوهت بكلمات صريحة بعض الشيء متحسسة بفقدان شيء عزيز على قلبها..

الأميرة : تعرف؟ أنا عمري ماعرفت أفضفض لحد لكن أول مرة شفتك فيها لقيتك شبهي وطمعت في إني أحكيلك أنت بس مش عارفة لغاية دلوقتي أثق فيك ولا لأ وهل أنت تستاهل ده ولا لأ، أنا مش عايزاك تحس من كلامي أنني مميزة وأكبر ضحية لكن من حقي أزعل على اللي مريت بيه واعتزرلك لو حسيت مني بقلة زوق بس بحاول أكون صريحة أكتر وأرجو إنك تكون متقبل كلامي.

- أنا محترم كلامك جدًا وأكيد متفهم ده غير وكمان اللي معرفتيش تقوليه وأكيد متفهم زعلك سواء حابة تحكيه ولا لأ، بس حابب أفهمك طبيعي تجيلك ظروف تأثر عليكي نفسيًا سواء كانت علاقة أو ضغط شغل أو مسئولية معينة، عندي يقين كامل إن فيكي حاجات جميلة معرفهاش لسة، بس دا اللي

اسـتنتجته منك وواثق إنك شـخصـية بمنتهى الرقي، بعيدًا جدًا عن مرتبتك بالدولة لأن اللي بينا..

هنا من أميرة وفرد من شعبها، لا أنا شايف إننا صحاب من زمان نقدر نتكلم بكل حرية.. لاحظت شـفتيها وهي تبتسـم متحسـسـة بالاطمئنان وتوسـع عينها وكأنها لأول مرة ترى إنسـانًا حقيقيًا وتألمت لها بذلك الشعور، لم بعمرك هذا لم تطمئني إلا بتلك اللحظة.

لاحظت رقة القلب التي نبعت وكأنني قطرات المطر اللطيفة سـقطت من سـحابة صـغيرة مرت لتلك النبتة الجافة التي كادت أن تموت، ولكني لا أحب أن أعلق نفسـي بقلب أحد وأنا لا أحبه وتلك التجربة لا أريد تكرارها وسـتألمنا فيما بعد بالأخص هي، أظن أنني سـأترك الأمور كما هي سأجاريها بصدق وها هي صداقة تملأ بعض الفراغ.. تأخرت عن المنزل والفراش الذي أسـتلقي عليه وعلبتي المعدنية التي أرتب بداخلها سـجائري، افتقدت الخيالات بعتمتي والمخلوقات التي تؤنسني وتنجذب لي كالأطفال.

وبالرغم من كثرة حديثي وأسـراري لن يخذلوني يومًا وأثق بهما أكثر من بني جنسي، اعتذرت عن تأخيري بالقصر وذهبت للمنزل وانتبهت لحزنالأميرة بعض الشيء ولكن تعمدت قسوة قلبي بالرحيل، احتضنت فراشي بدون أن أشعل سيجارة هذه المرة قبل النوم مع رشفات القهوة وكأنني متشبع منهما بالوقت الذي مضيته معالأميرة..

استيقاظ

ما بعد الاستيقاظ

استيقاظُ مبكر ومذهل بزيارةالأميرة لأحلامي وكأن العقل لن يتشبع منها وأتحســـس إرادتي المتمنية لأنقاذها من أحزانها، أحضـــر فنجان قهوة من تلك العبوة التي أهدتهاالأميرة لي وأخلطها مع شـهيق الدخان واســـتمـاع الموســـيقى يجعلني أكثر وأعمق خيـالًا من ذي قبـل، تتكاثرالخيالات والتوقعات ولن يمحو فصـــل عن ذاكرتي الغريبة التي تتألم باللحظات السعيدة أكثر من المحزنة.. لم التذكر إذًا؟!

هل لي ببعض الاستنشاق الهادئ؟

الذكريات تؤلم صـدري بعض الشـيء والتنفس لا يتم شـهيقه إلا من الفم، حسرات واقع مؤلمة ولن يتكئ الهوان على صدري حتى للحظات معدودة، وكأن الوحوش تلتهمني وقادرة على أن تقســـو على ظهري بالجلد من تلك الأداة المغطاة بلهيب النيران، أتحسس باغتيالي وخيانتي بواسطة باطني اللعين ويستخدم الخيالات المؤذية وكأني عدوة اللدود.. واقع مؤلم بزنزانة جديدة أخرى ويمتلئها الدخان السام والجدران تتلون تدريجيًا بلون الدماء ويتم ســـحبي بعفوية لها وأتحســـس بطعنات يتم تكرارها على ظهري وبكل طعنة ذكرى ســـيئة وكل ذكرى بتألم جديد يسحق عقلي وأحشائي، يا ويل الخيالات والتصورات الماضية، وكأنني أتولد من جديد، ولكن بدون إرادة عن مقاومتها.

ذلك الإشراق مؤلم بعد رشفات القهوة المريرة السوداء.. مهما كثر بي الوقت بالأذى أقاوم حتى انفجر وألعن جميع المســـاوئ بتلك اللحظات التي تم مروري بها بالرغم من أنني تحسست أن السنين عقود والعقود تصاحبها القرون ولكن أنا من أسيطر على تلك المساوئ مهما تمادت بعقلي.. استيقاظ ما بعد الاستيقاظ..

أهزم اللحظات التعيسة الديكتاتورية وظلم الشعوب ببلد باهتة اللون والسواد وحسنة المظهر لحكومتها وأصحاب رؤوس المال العمالقة ومدراء الشركات ذات تسليط الضوء العالمي فقط، آثار الجلد ما زالت مؤثرة بظهري وإهلاك جسدي ملاحظ أمام المرآة.. خطوات على الأقدام أكثر هوانًا من السيارات المليئة بضوضاء

البشر ذاهبًا للقصر مستهلكًا جهدًا ذهنيًا أكثر من البدن بالرغم من بُعد مسافة القصر عن منزلي، أتخطى بوابة القصر بكل سهولة كعادتي منذ أول زيارتين وأصبحت ذا سلطة بالقصر، أجلس على كرسي لطيف متحرك بعض الشيء وكأن من ليس له موعد للعمل الجاد وتأتيني صغيرتي اللطيفة وتهيأت لي كالملاك ولكن لن أذهل كعادتي من قبل ولكن الاختلاف الآن من تلك الآلام التي أحاطتني، نظرتالأميرة لعينيّ وتحاول أن تتدفق بيديها لقلبي بخيالها حتى تطمئن أنني بخير ولكنها لاحظت وضع يديّ على قلبي والحذاء مليء بالغبار وكأن وظيفتي هي لاعب كرة قدم بخماسية الملاعب وتتساءلني عن ما سبق لي من وقت للاطمئنان وألاحظ توسع عينيها المشفقة الحزينة لي..

الأميرة : أنت كان وراك حاجة مهمة وخوفت تتأخر ولا ايه؟

- لا بس كنت حابب اتمشى شوية

الأميرة : أنت باين عليك تعبان غير إن نبضات قلبك مسموعة، تحب أجبلك دكتور؟

- مش مستاهلة صدقيني.. أنا كويس بس ياريت شوية ماية وهكون تمام أوي.

الأميرة : حاضـــر.. أنا أول مرة أشـــوفك بالحالة دي، لو بتشـــتكي من حاجة معينة قولي، أنا عندي دكاترة كويسين.

- أنا تمام أوي دلوقتي.. أظن بعد كوباية المية دي من إيدك كل حاجة اتحلت وبس كدا يا ســـت (ليل)، انتي معندكيش حاجة تحكيهالي ولا أي عشان نضيع شوية وقت ونتسلى.

الأميرة : لا ده أنت بقيت واخد عليا وعلى فكرة أنا مبســـوطة من ده وهنحكي يا عم بما إنك بقيت كويس زي ما قولت.

- بصـــي بقا أنا آه شـــربت من ســـجايرك وعجبتني جدًا لكن جيه الوقت تدوقي سجايري والقهوة هتكون عليكي بقا.

الأميرة : طب تمام أنا اصـــلًا كنت بشـــرب النوع بتاعك ده بس غيرت من فترة لما نزل منها مضروبة..

- مضروبة**!!** لا ده كدا عظمة أوي..

الأميرة : مش معنى إني أميرة يبقـــا معرفش أفرق بين الســـجـــاير والحاجات اللي بستخدمها..

- اقتنعت جدًا.. أظن أني فهمت غلط بقا..

الأميرة : يا عم ولا يهمك بس تاخد بالك بعد كدا بقا إني فاهمة ومش مجرد أميرة..

- لا أنا كدا هتعامل مع واحد صحبي مش بس أميرة.

الأميرة : عظمة كدا..

- الله أكبر**!!**

ذلك أول حديث بيننا ابتسم به بالفعل وكأنها لن تصنع فرق بيننا بالرغم من أنها أميرة، رأيتها جميلة بقدر رائع واختفت كلمات العنصرية التي كنت أشك بوجودها وبالرغم من أنني لا أهاب العنصرية، ولكن الجمال الداخلي بها وضح لي بتلك الابتسامة المشرقة بوجهها أكثر من ابتسامتها الماضية وذلك أول إشراق لي منذ أن استيقظت وذلك الإشراق هو ما كنت أنتظره بالفعل، تعمدت سؤالها عن المشاعر الحقيقية لكي تنفتح بإخلاص حقيقي وأعلم أن مكري بالأسئلة مستغل بالأوقات المناسبة، اختيار الأوقات بالأسئلة عادتي والمواقف سهل أن تصنع حديثًا صادقًا بعض الشيء بالأخص بالمواقف التي تنبع من حساسية القلب سواء بقمة السعادة أم الحزن، جاوبتني بتلقائية لم أكن أتوقعها وكانت غامرة بتخيلاتها وكأنها بداخل علاقة شديدة الحب الأعمى وابتسامتها معبرة بتحركات يديها كأنثى بمنتهى الرقة واختلاف اتجاهات نظرات عينيها وهي تتحدث وتأتيني بأمثلة أصدقائها عن قبل الزواج ولكن لن تذكر لي عن صدمة حزينة واحدة بسبب غمورها بالتخيلات السعيدة بوصفها عن المشاعر الصادقة من خلال قلبها المنفتح لي الآن، تلامست كلماتها وأبتسم وأنا منتبه لتعبيراتها المبشرة بالنهايات السعيدة الخالية من الصدمات الحزينة وما تذكرة عن مفاجآت حتى خانتها شفاتها ولن تلاحظ كثرة الكلام، وحدثتني عن أول عيد ميلاد لها بسنها الصغير وكم كانت سعيدة وهي طفلة وعن حبيبها الذي عشقته بطفولتها ولن تنسى ذكراه ولو للحظات ولكن أتيقن الآن هناك جزء مفقود من كلماتها التي تغمر بها أمامي، ما زلت أنتبه لها مبتسم لسعادتها بذلك الحديث الذي تولد من شفتيها الراقية وهي متيقنة بوجودي بجانبها وأنني الصديق التائه

عنها وثقتها بأنني ذو حافظ الأســـرار كالمذكرة الورقية، بعد كثرة حديثها بوقت طويل انتبهت كم هي كانت تريد أن تتحدث بتلك الطلاقة منذ مدة طويلة، وسـألتني لم لا أتحدث معها وجعلتها تنتبه بأنني سـعيد بحديثها وضـحكت بهسـتيريا وهي تتلامس قلبها بيديها حتى تتحسـس نبضـاتها وسـط ضـحكاتها الجميلة وانغلاق عينيها أذهلني وتلامسـت قلبي بأحشـائه من صـوتها، الذي إذا سمعتها التلال تنبت أشـجارًا بثمار لذيذة المذاق وكأنها لن تنطلق بضـــحكات منذ أبد طويل، وقد تحررت من القصـــر الذي تيقنت بأنه زنزانتها بكثرة الإحباط به، كانت بقربي ووقفت بفجأة غير طبيعية والطفلة (ليل) ليســت كتلكالأميرة التي كنت أتحدث معها بالقبل، أخذت يديّ لمكان بالقصـــر بعيدًا هذه المرة عن مجالس الضـيوف ونجلس بمكان أكثر راحة وتشـغل أغنية ل (عمرو دياب) وتتحدث عن مدى حبها له وأغانيه وتتمنى أن تحضـــر حفلة له ولكنها لم تملك الإرادة لعدم وجود شـــريك مقرب إليها لتحضـــر حفلة لحفلاته وأؤكد لها بأنه سيتم تحقيق أمنيتها سويًا بأقرب الوقت وتغمرها الســـعادة التي افتقدتها وتبحث عنها منذ زمان بعيد وقد تم ملاقاتها بالفعل، أشـتهي بأن أتلذذ بابتسـامتها التي أمامي وهي تغرد مع الأغاني التي تحبها وكأنني طبيب نجح في عملية ولادة خطيرة كان لا بد من وجود ضـحية سـواء أكانت من الأم أم المولود ولكن بعد تركيز شـديد وإرهاق واسـتعانة بالله تم بحمده نجاح العملية بدون خسـارة، لن تتملك الســـعادة مني بعض الشـــيء منذ وقت طويل بســـبب كثرة انعزالي وانفرادي بالمنزل وحين يقسو الأمر بالترفيه معي أذهب للمقهى.

يأتيني شعور غريب عادة أفكر به، هل ستتكون علاقة جديدة بدايتها سعيدة والخذلان بالنهاية كتلك العلاقات التي مررت بها، كم الخذلان الذي عشته وتخيلته ليس بقليل ولذلك وضعت حدًا منذ أكثر من سنتين إلا أثق بأي بداية قد تأذي بدني بعد فترة وجيزة ومتوقعه، استيلاء الخذلان المتلازم للأسف لتراودني توقعات بأن تلك العلاقة ليست كالتي من قبل ولكن يجب الحذر من أي بداية حتى لا ينتهي كم الدروس التي تعلمتها من قبل، ما زلت أجاري تلك العلاقة حتى النهاية وسعيد الآن بتلك الملامح الطفولية التي تتولد أمامي متعجب بشعورها الجديد، أخذتني من يديّ كطفلة تجذب يد أبيها ليذهبوا إلى الملهى أو لكي يشتري لها حلواها المفضلة، دخلنا من بوابة بمنتهى الروعة وذوقها كالأفلام القديمة منحوت عليه روسومات كلاسيكية كأن ذلك الباب مصنوع للتصوير أمامه، يوجد بعد تخطي هذا الباب خمسة مقاعد مريحة النظر قبل الجسد وأمامهما شاشة عملاقة كالسينما وقالت إنها ستختار فيلمًا لنشاهدة سويًا وأتعجب بوثوقها التام لي وتم اختيار الفيلم بعد جلوسنا بجانب بعضنا وذلك السناريو الذي توالى بالأفلام والقصص الخيالية لا أريده أن يتكرر معي وهو أن تتمسك يديّ وتشعر بالحنين معي ولكني لا يعجبني الأمر أتمنى أن لا يحدث ذلك، لم أكن أتوقع أن الفيلم سيكون كوميديًا ساخرًا وأنه من اختيارها واستمع ضحكاتها العالية وأنبهر بصوتها الهستيري المتعالي ولكن أحببت ذلك، صمت قليلًا وكأنها متسائلة لمَ لم تكن سعيدة من قبل كتلك اللحظة، تحسست حزنها قليلا بأفكارها التي تراودني الآن وأطلب منها أن نخرج من تلك الغرفة التي نسيت أن تطلب الذرة والشراب كعادات صالات السنيما لأنها سعيدة الآن ولم يختلق السعادة منها منذ وقت

طويل، خرجنا من تلك القاعة اللطيفة وما زلت أحتســـي قهوتى التي بردت وأتلذذها وهي باردة أكثر من سخونتها، بلحظة ظنت أنها ستقع وتمسكت بكتفي بقبضة قوية حتى توازنت وتفوهت بالاعتذار ولا أبالي باعتذارها ولكن انتبهت أكثر بتمســـكها بي وتأتيني ذكرى لعينة بتلك اللحظة وأحزن على تلك المأســـاة التي مرت بخاطري وتحدثت بلهجة شبه عفوية متماسكًا بشعوري بأن الأمر ليس بتلك الحساسية، حبيبتي اللدودة التي تصـنع مجد السـعادة وانتصـرت على حروبها القديمة ما زالت بعقلي ولن تبالي لحربي التي صنعتها لي بواسطة الخذلان اللعين الذي متيقن بأنني متشـــبع منه ولن تفيدني ذلك بعد ما حل بي، اندلاق رشفة من فنجاني وتتعالى بالابتسامة اللطيفة وأنظر إليها متفتح العينين مندهشًا بابتسامتها ويكترث الضحك بها أمامي، نجلس بجانب بعضنا للمرة الثانية ولكن الكلمات قد بدأتها أنا بذلك الحين، وحيلتى بالأسـئلة استغلها كالعادة لأتدفق بداخلها أكثر من أي وقت مضى.

- مكنتش فاكر إن ليكي ضحكة لطيفة أوي كدة وعالية بصوتها، بس تقريبًا مش على طول بتضحكي كدة.

الأميرة : أنا أول مرة أتبسط بالطريقة دي مع إني حافظة كل حاجة في القصر وملانة منه بس النهاردة الموضوع مختلف جدًا وكأن أول مرة أدخل القصر.

- يا رب ديما مبسوطة، أنا أصلًا مبسوط ليكي ومش آخر مرة هتضحكي فيها وخليكي واثقة فيا.

الأميرة : شيء غريب أوي يا محمد ومحزن إن أول مرة أضحك ومن مدة كبيرة، أنا ليه اتحرمت من ده كله وازاي عشت بالطريقة دي من غير حتى ابتسامة، مع إني مش وحشة يعني ولا بحب أظلم حد.

- أنا واخد بالي ومتفهم، انتى كويسة جدًا وأكيد كان لازم تشاركي حد اهتماماتك واللي بتحبيه لكن بدون رسمية لأن وضع الحدود المعقدة بتأثر ومبيبقاش فيها طعم.

الأميرة : أظن فعلًا إن الرسميات اللي ضيعت مني طعم كل حاجة.

- عادي بقا، انتي لسة صغيرة اهو وهتفرحي باقي عمرك.

الأميرة : بصراحة مبسوطة بوجودك، توقعاتي طلعت صح في إني لما شفتك حسيتك شبهي.

- إحنا مش أي حد برده.

الأميرة : آه.. واخدة بالي بس متخدش مقلب في نفسك كدة.

- أنا يا ستي واثق من نفسي في ايه.

الأميرة : يعم مقلناش حاجة.

أكره كثيرًا أن يراني أحد بأنني أشبهه لأنها تكررت كثيرًا معي ولا أثق بها ولا أرى أحد يشبهني مهما تماثلت صفاته أو ملامحه مثلي، دائمًا بعد بتلك الكلمتين خذلان محبط وأذى للنفس وكل ما يأتي بعده صدمات مخيبة ولن أثق بتلك الكلمات مهما اقترب المحبين بحياتي، إذن إن العلاقة لن تتلاشى إلا بعد مدى طويل وأنا أستجيب إليها وأتمدد بالمواقف والمؤثرات التي تحدث وستحدث أتذكر بعفوية مشهدًا رأيته

من نافذة منزلي كانت القسوة به في منتهى الانتصار بالظالمين، رأيت شـــابين أحدهما من الطبقة المتوســـطة والآخر من الطبقة العليا وكل منهما ينظر بعضهما البعض بغضب وكأن هناك قصاص غير طبيعي بينهما كان بجانب من ذوي الطبقة العليا فتاة وكأنها حبيبة الشاب الآخر وتـأتيهم لحظـة الاختيـار من الفتـاة وينظر الشـــاب من ذوي الطبقـة المتوســـطة بأعينها وهو يتمرس حفظ دموعه ويرجوها بنظراته بأن تختاره وأن لا تخيب ظنه منها وأن لا تخترق ذكرى حزينة بوسطتها، ولكن حدث ما لا يرغب به واختارت من هو ذوي الطبقة العليا ولكن ما زال الشاب المتوسط رافعًا رأسه وقد احترمته لتصنع قوته وتفوهه بكلمتين بأنه لا يبالغ الأمر، أخذ الشـــاب الآخر الفتاة بســيارته ومن ثم جاء من ظهر الفتى المتوسـط شـابان حجمهما ضـخم البنية، وتمسـك واحد منهما كتفيه والآخر يضـرب وجهه بقبضـات قوية وبأول قبضـة تلقاها الفتى نزف دماء من فمه وكأن فكه انكسـر وما زالت القبضـات متتالية على جســـمه بســـرعات غريبة ومن ثم تركوه مســـتلقيًا على الأرض ينزف من فمة وخدوش وجهة ملاحظة من نافذتى التي أنظر منها، نزلت مسـرعًا إليه من المنزل لأسـاعده ورأيت الناس متفرجين عليه من بعيد أخذته حاملًا إلى داخل منزلي بمعجزة بســبب عدم مقاومته من التألم ولن يأخذني فضـــولي لمعرفة القصـــة لأنها كانت واضحة أمامي لاحظت أنه سيبدأ بالبكاء ولكن سبقته بنصيحتب بأنه لا يجب أن يبكي أبدًا أمام أحد وذلك البقاء لن يفيده إلا وهو بمفرده، تلقيت منه بعض الشكر ولكن هذا لا انتظره لأنني أعلم أنه سيبقى بقوة كبيرة، أخذ نفســه لمنزله وأنظر إليه من النافذة وهو يرحل، وبدء بالبكاء ولن يستمع بنصيحتي، ما زلت أتذكره وكأن ألمه من ألمي وأنا أشفق عليه بتلك الذكرى القذرة انتبهتالأميرة لي وأنا غارق بخيالي لتلك الذكرى

وبأنني أتحسس صدري بيدي وأضغط عليه حتى يستريح قليلًا بسبب عدم ارتياحي من نبضاتي بالتذكر لتلك المأساة، تحدثني وتتساءل عن حدثي الذي يمر بي الآن أمامها وتحتار بعينيها وألاحظ شفقتها لي، جاوبتها بأنني بخير وأنني فقط أراجع أشياء بعقلي وأتذكر مهام يجب علي أن أفعلها..

الأميرة : على فكرة أنا عمري ما لاقيت حد أشتكيله وأفتح قلبي وأكون واضحة قدامه بس لما ارتحتلك حسيت إن في حمل كبير لازم أخيرًا يوضح لحد ويتخف عني..

ليل أنا لو حابب أحكي اللي مخبيه هحكيه بس على حسب وأكون فاهم اللي قدامي كويس، مع إني كدا كدا فاهمك مش هتستخبي عني يعني..

الأميرة : إيه ده؟! يعني إيه مش هستخبى عنك دي!!

- قصدي لو حاولتي تحوري عليا هفهم على طول.

الأميرة : اي الثقة دي؟

- ما هي مش من فراغ برضه.

الأميرة : متخلينيش أتغر عليك.

- لا لا كان زمان، دلوقتي مش هتعرفي لأننا بقينا صحاب خلاص.

الأميرة : خلصانة يا سيدي.

- خلصانة !! ده أنت طلعتي موال.

الأميرة : امااال.. بقولك أي أنا جعانة هتاكل معايا.

- لا مليش نفس.

الأميرة : معلش كل معايا والأكل جاهز أصلًا ومعمول حسابك.

- ماشي أنا أصلًا كنت عامل فيها مكسوف.

الأميرة : حلو الجو ده.

- لا يا عم احنا أهل

الأميرة : قول كدا بقا.

تم تحضـــير طاولة الطعام تحتوي الطاولة على جميع ما ذُكر ولم يذكر عن الأسـماك والمأكولات البحرية وتلك وجباتي المفضـلة وإذن إنه سيتم انقلاب مشاعري لأشياء سيئة بعد تلك الوليمة التي سألتهمها، جلسـت ويحتار عقلي ولسـاني عن تذوق أي صـنف من تلك الأصـناف المتعددة وبدأت بذوقي بالإلتهام بالأكل ولأول مرة منذ فترة كبيرة من الطعام وســـعيد بذلك، ويتم صـــنع أحاديث بيننا خلال الطعام وذكر المواقف المضـــحكة والعلاقات التاريخية واشـــتهاء كل منا لأشـــياء بالمسـتقبل وصـنع ما يحبه البشـر من حولنا ونتشـارك الأفكار سـويًا، بعدما انتهينا من ملء المعدة طلبت كوبًا من الشـــاي كعادتي بعد أي وجبة ولكن حدثي يشعرني بأشياء لا يجب أن تحدث الآن ولكن أحاول أن أتمالك نفســـي بعض الشـــيء بتلك الوجبة المليئة بالفســـفور، بتلك اللحظة لا أريد النوم أريد أن أتســلق جبلًا ضـــخمًا حتى يهدأ جســـمي وهي تنظر لي بنظرات لطيفـة ويبـدأ انجـذابي لهـا وأراهـا بمنتهى الرقة والجمال عيناها تحتوي الماس ورقبتها ناعمة كالتي أعشـــقها

بالإناث الفاتنات، أُثرت داخليا لاعجابي بحجم صدرها المناسب وكتفها ذي الملمس المنزلق ويحدث بي شخصية الممارس الحميم ويتم حديثي معها بصـــوت هادئ ولطيف ولاحظت بريق عينيها بتوتر قليلًا وهي تنظر لي و هدوئي الذي اتقنة بالاقتراب منها وهي لا تلاحظ اقترابي وأنظف أول قطرة عرق من رقبتها بمنديل وقد امتلكتها الآن.

الأميرة : أنت عملت ايه يا محمد؟! دا أنا وثقت فيك.

- أنا كمان وثقت فيكي ومش عارف ده ليه حصـــل، بس اللي فهمه إنك بقيتي جزء مني عشـــان كدة حصـــل ده، الحدود بينا مبقتش موجودة ونسيناها.

الأميرة : محمد ده احنا حتى مفيش بنا علاقة حب عشـان يحصـل ده، أنت بتخرف وبتكدب.

- مســـمحلكيش تكدبيني عن حاجة بقولها ولو على كدة أرجو تنسي اللي حصل.

الأميرة : معادنا بكرة يا محمد.. نتكلم بعدين.

تحسـست أنها لم تتقبل الوضـع هذا بعد أن اسـتيقظت من إغمائها، ولكن أعلم جيدًا أنها أحبت ذلك بالرغم من مكانتها كأميرة، ذهبت للمنزل لا أفكر إلا برقتها معي، ولكن هذا النوع من الطرد قد اصـابني بالاســتياء وأظن أنني ســأغلق هاتفي ولن أذهب مجددًا لحزني على نفســي بالموقف الذي وضــعتني به، اســتأت قليلًا ولكن بنفس الوقت أتيقن أنها لأول مرة تتلذذ مع غريب وتنسى أنها أميرة بدولة اقتصادها قوي.

احتضنت فراشي الذي أصبح سرعان نومي به، غريبًا وإذن إنها من تلك الظروف التي تغيرت معي، أحلام بائسة أخرى لن تفيد بكثرة الأذى لتبلدي لها وبلحظات تأتيني صورةالأميرة وهي غارقة بأحضاني واستيقظ بهدوء، ولكن ما زلت اصمم بأنني لن أراها ثانيًا لذلك الموقف الذي وضعت به.

يطرق بابي وأندهش قليلًا لذلك، أذهب للباب مناديًا بالسؤال عن من الذي يطرق الباب ولا يأتيني جواب وأفتح الباب بهدوء ومن ثم يتم اختراق الفتح البسيط للباب ويتم احتضاني من أنثى احبتني كثيرًا وأندهش عن ظهورها المفاجئ بعدما اختفت لفترة كبيرة، كان ذلك الاحتضان قويًا وبلهفتها التي تأتي بعد كل معاناة تمر بها، دائمًا هي تلجأ لي، أنا المحبوب الوحيد إليها، تلك الآن هي التي أحببتها ولكن اختلاف أفكارنا لن تساعدنا على العيش سويًا، لذتنا تكتمل سويًا ولا يكملها لها أحد غيري، وخيالها كالعادة دائم بصورتى فقط وتشمئز عندما تحاول أن تتصور غيري.

تلك هي **(ريم)** التي اختلفنا بكل شيء إلا بعلاقتنا الحميمة، كذلك لا تصلح لتكون الزوجة، تحسست دموعها وهي تسقط على ظهري وهي بأحضاني وكأنها خارجة من علاقة جديدة كالعادة وتأتي للملجأ الوحيد لها، كنت ما زلت عاريًا لأنني عندما استلقي على فراشي لا أحب كثرة الملابس لأنها تدايقني أثناء تقلبي، نجلس علي المنضدة وأهدئ من روعها قليلًا وأحضر لها بعض الماء والشاي وبجانبه فنجان القهوة الخاص بي وتتعجب من أنني ما زلت بعادتي، بشرب القهوة والسجائر بعد استيقاظي مباشرةً وتحدثني بأنني سأموت مبكرًا بتلك العادة، ولكن

لا رد فعل لي بسبب كثرة تلك الكلمات لي، أسألها عن حالتها وتبتسم لي بطريقة لطيفة واشـــتياق ملحوظ، وفجأة أحدق بعينيّ لها وأجعلها تتفهم بأنها هي من خســـرتني، وكم تؤلمها تلك النظرات، وتتفوه بأنها ليســت مذنبة بالرغم من أنانيتها لطبيعتها، وتتفوه بالاشــتياق من جديد ونزيف الدموع يكثر من جديد، وتؤلم قلبي بالرغم من انتصــار نظرتي التي تضغط عليها، وضعت يدي على وجهها متمسحًا لدموعها وأقترب لها وأقبل خدها الحزين، وتعود لأحضــاني بقوة والصــباح أشــرق لي لإغراقها بالنشــوة وأســحبها من يديها للفراش التي عشــقته بوجودها معي.. بعد الانتهاء من معركة أفوز بها دائمًا تكون هي بجانبي مستلقية برأسها على صدري، وأحزن قليلًا عن خسارتها لي، أسألها عن الذي مر بها بخلال الوقت الذي اختفت به عني وتجاوبني بأن آخر علاقة لها كانت أذية للنفس لها قبل البدن، وكم حد الندم الذي استشعرته بعدها وتساؤلاتها لي واضحة بأنها تريد أن نتزوج ولكن يتم صمتي حتى لا أهين عقلها الساذج وقلبها الذي تمادى على مشاعري بوقت ما وللأسف قد تفهمت ذلك..

ريم : أنت لي مقتنع إني ظلمتك يا محمد؟!

- هو أنا قولت إنك ظلمتيني؟.. كل واحد حر بحياته ومحصــلش أي مشاكل اهو ومش هيحصل.

ريم : أنت بتســـتهبل!! أنت عارف كويس أي اللي بينا وعارف أنا حبيتك ازاي، لي بقا متتنزلش عن حاجات بسيطة ليا؟!

- وأنت فاهمة كويس إني لا يمكن أتنازل عن حاجة مني ومش هينفع أتغير..

ريم : مختلفين دايمًا يا محمد.

- الطبيعي.. وده مش جديد بينا..

صوت الهاتف يفاجئني وأتساءل هل هذا استدعاء منالأميرة أم من غريب؟.. انظر للهاتف وأتفاجأ بصـــديق قديم قطعت علاقتى به منذ سنتين تقريبًا وصوت شفاهي يخونني باسمه (شادي)!!.. تتفوه..

ريم : هو مش ده عرفه صحبك اللي مش مظبوط.

- أيوة هو، مش عارف ايه فكره بيا دلوقتى ومش عارف هو بيتصل ليه.

يتم ردي على الهاتف..

- الو.

شادي : محمد معايا؟

- أيوة مين؟

شادي : أنا شادي، أنت مش فاكرني ولا ايه؟

- آه.. ازيك يا شادي.

شادي : أنا الحمد لله تمام، أنت طمني عليك.

- أنا كويس اهو، في حاجة ولا ايه يا شادي.

شـــــادي : أنـا حبيـت أطمن بس على صـــــاحـب عمري وأقولك حاجات عني وأوضـــحلك إني اتغيرت وبقيت أحســـن وربنا هداني.

- كويس جدًا ربنا يوفقك ويكتبلك الخير دايمًا، بص يا شـادي أنا مش فاضي دلوقتى أخلص كدة وأفضى في وقت وأكلمك ونقعد في حتة شوية.

شـــــادي : طـب تمـام بس متتـأخرش عليـا عشـــان عـايز احكيلك حاجات كتير.

- تمام يا شادي، سلام.

شادي : سلام يا حبيبي.

لن أنبهر أو أشـــعر بالســـعادة من خلال تغيرات شـــادي نســـبة للذي قاله لي على الهاتف، وتعمدت أن أنهي المكالمة لأن تلك الصداقة انتهت بتاتًا ولا أتحبب ولا أنجذب لأي صـداقة جديدة، ولا أريد مقابلته وتفهمت بأن الجميع عابر سواء خيرًا ام شرًا، تبدأ ريم بالحديث. .

ريم : ده عايز منك ايه ده؟

- معرفش بس كدا كدا مش هقابله.

ريم : ربنا يسترها عليك يا بني.

- استهبال هو ما أنا عارف.

سذاجة عقل (ريم) تشعرني بالاستياء منها قليلًا ولكن بأوقات تصنع لي ابتسامة لطيفة، (ريم) هي الفتاة ذات الضحية عن جميع العلاقات التي مرت بها ولكن ذلك لأنها لن تستجيب لتأثير الانجذاب لأحد حتى أنها بيوم من الأيام كانت تظن أن ميولها للإناث ولكن قد تفهمت وأيقنت العكس عندما انغرزت بأحضاني، مرت (ريم) بجميع الطبقات والفئات من الشخصيات ولكن لا داعي من كثرها لفشلها وقد قررت أن لا تتنازل من المحاولة بعدي لأجل حرياتها بملابسها اللافتة للانتباه، وتجذب أعين الجميع لجسدها شبه العاري، يومًا من الأيام أظن أنني أحببت عاهرة ولكن ليست بعاهرت الصفات ولكن عاهرت التزين واشتهاء الجميع للانجذاب لها والفريسة الصعبة لهم، وتعتبر ملابسها مجرد طعم يمكننها أن تصيد بها الغزلان ولكن لا فراغ لي لتلك التراهات.

أرادت ريم أن تدوم معي يومين ولا مانع لدي، وانعزالي لا مانع له بأن يشتهي للنظر بوجهها البشوش بعض الشيء قد يهون لي لأوقات. نامت ريم على صدري وكأنها جاءت من بلاد بعيد واشتاقت لأحضان أمها المتوفية، تدرجت الأفكار والخيالات بي باختلاق الأشباح الآن ليست بوقتها المناسب بوجود ريم بجانبي، أحاول أن أتخطى تلك المناوشات الخيالية ولكن يصعب علي الأمر لتلك اللحظة، ويأتيني ذكرى بيني وبين ريم تؤثر على خاطري بعض الشيء.

- عزمتك بوجودنا في كافية قدام البحر عشان تعرفي إن محدش يعرف يعملك جو رمانسي زي ده.

ريم : يا عم متشكرين بس لي نزلنا بليل ما كنا ننزل الصبح.

- البحر أجمل بكتير بليل وهادي، الواحد كدا يقدر يتأمل في أي حاجة بحساسية بسيطه..

ريم : محمد ممكن سؤال؟

- اتفضلي.

ريم : أنت لي مش مديني حريتي الكاملة ولي أنا ديمًا بتنازل ليك؟

وغير إنك مش حاسس بأي حاجة من دي..

- هو عشان مدايق من لبسك يا ريم يبقى مقيد حريتك بالطريقة اللي انتي شايفاها دي؟

ريم : لبسي يعني شخصيتي يا محمد وأنت كدا بتقيدني فعلًا.

- آاه.. لبســـك اللي مخلي الكل يبصـــلك بنظرات زبـالـة ده شخصيتك؟!
ومخليكي مبســـوطـة من نظرات النـاس، دي حـاجـة طبيعيـة بالنسـبالك يعني؟ هيبقا زيك زي اللي شـغالة في كباريه عشـان تشقط زبون..

ريم : وآخرتها يا محمد بالطريقة دي مع بعض؟

- عمري ما أجبرتك على إنك تكملي ولا حتى مسكت بالطريقة اللي تتخيليها صعبة.

ريم : معنى كلامك ده أي يا محمد؟

- معناه إني مش مكمل وواضح إنك تعبتي بس أنا هختصر لينا إحنا الاتنين وأنسحب عشان تخدي حريتك وارتاح من تصرفاتك.

ريم : أنت بتقول ايه يا محمد؟! أنا مش قصدي كدا خالص!!

- أنا بقا منسحب وسلامي لحريتك الداعرة..

طلبت من النادل الذي بالكافيه الشيك للحساب وأخذتها من يديها لمنزلها، نظرتي لها قوية رافعًا رأسي ولكني لا أريد أن أذهب لمنزلي مسرعًا وأتأمل إليها بنظرات وداعي لها متحسس بوخز وحزن وما زال حزن البالغين الصامت يتملك من أحشائي.

استيقظت ريم ورأت دموعًا لن أدرك متى نزفت ونبضات قلبي متأثرة ومبالغة السرعة، تحسست شلل تفكيرها برعشة يديها وهي تمسح دموعي ونظراتها النادمة والمتيقنة بأنها الظالمة لنفسها قبلي، تعتذر بطرق سازجة بدون أن تعلم ما السبب الحقيقي لحزني بتلك اللحظات، ابتسم بلطف ليطمئن قلب ريم لأهون زعرها بعض الشيء لأنني أعلم قسوة نبضاتها مؤذية، لقد تحسست ريم نفس ذلك الشعور، وأطلب منها بأن تتزين بالملابس للنزول لمقهى راقي يجمعنا، ولنهدأ لنصنع مزيج الرقي بالكلمات بيننا، بدلًا من الحزن، نهضت ريم

مسرعة من الفراش وتُقبل شفتيّ قبل أن تتجه لملابسها وتغمرها سعادة الأطفال للنزول سـويًا، اسـتعدت ريم وتقف أمامي كطفلة تنتظر أباها لاختيارها للألعاب التي كانت تحلم بها التي تُذهب عقل الأطفال كفطرتهم، أقف أمام ريم وتأتي بجانبي لكي أثني ذراعي لكي تدخل يدها بها وها هي ريم عيناها تبرق بالسعادة قبل بشاشة الوجه ببراءتها، لا أسـتطيع أن أصـف كم السـعادة التي هي بها الآن وهي بجانبي، متمشيان للمقهى وتحاول أن تصف سعادتها بكلمات تريد أن تصنع لها قوة تعبير لكي تلفت انتباهي لها ويعجبني حديثها، نجلس على طاولة بالمقهى بعد الوصـول وتطلب من العامل قهوتي الخاصـة لي ولها، بالرغم من أنها لا قوة لديها من اكتمال القهوة الغامقة ولكن سـعادتها تملئ عينيها بذلك الطلب ويبدأ الحديث بيننا..

ريم : وحشتني القعدة دي معاك أوي يا محمد.

- وانتي كمان أوي يا ريم.

ريم : انت عملت ايه جديد بقا في الفترة اللي فاتت، أنا معرفش عنك حاجة.

- ولا أي جديد، كعادتي.

ريم : بس أحسن حاجة فيك إن شخصيتك متغيرتش، حتى تعبيرك عن مشاعرك لسة جميل بملامحك ومبهر كعادتك.

- ممكن تيجي ظروف تخليكي شيفاني متغير، بس لسة مجاش وقتها والله أعلم عن اللي هيعدي علينا، وبعدين ما أنت ارتبطتي كتير بعدي ومقولتش اتغيرتي لي بقا.

ريم : إيه اللي فتح الموضـــوع ده بس يا محمد، ما أنا رجعت أهو ومتغيرتش في الآخر.

- محدش بيلاحظ امتى بيتغير غير بعد صفاء ذهن كبير وتسوية حسابات لحياته ودي مبتجيش لأي حد.

ريم : بس أنا لسه بحبك.

- وأنا كمان بس مش زي زمان، اختلاف الوقت بيغير المشاعر.

ريم : بس أنا لا يا محمد، أنا متغيرتش.

- نفسك؟ تعرفي تعدي كام علاقة دخلتيها؟
بتكدبي عليا ولا على بعدي؟
كنت عارف إنك هتسـكتي، المهم أنا مش حابب أفهم تفاصـيل ولا عايز أقلب في قديم، موضوع ميخصنيش كدا كدا..

ريم : أنا أخصك يا محمد مهما حصل**!!**

- طبعًا وقت ما تحتاجيني أنا جنبك، مش هرفض أكيد..

تلون وجه ريم وصمتت لأنها كانت تنكر وتحاول أن لا ترى نفسها مذنبة، تمسـكت بيديّ وهي متحسـسـة بالندم وذلك ما يجعلني نوعًا ما منتصـــر لأنني أعلم حقيقتها، ولن تختبئ عني، وتلك هي ابنتي التي تخطئ وتأتي لأحضـــان أبيها الذي يحميها من عواقب أفعالها الحمقاء التي صنعتها بعيدًا عني.

أذهب بها للمنزل وألاحظ حزنها الذي حل عليها بعد حديثنا التي أردت أن تتحسسها دائمًا عندما تنسى أنها مذنبة بعلاقتنا، دخولها للمنزل بهدوء ملاحظ أكثر لألمها ونامت على الفراش مستلقية وعيناها متفتحة وتفكيرها ما زال يتحدث تلقائيًا، احتضنها بهدوء وذراعيها تلتف حولي بقوة ووجهها يلتصق بصدري والدموع تبتل ملابسي وأمسح ظهرها بيديّ لكي أطيب بخاطرها قليلًا.

أذهب في النوم بتلك اللحظات، الأحلام المريبة ما زالت تتلاعب بأعصابي بقسوتها ولكن قد اعتدت الأمر وتراكم الاستيقاظ المفزع ما زال مستمرًا ويا لسعادتي إن كان هناك استيقاظ أقل فزعًا. استيقاظ غريب بأنني اندهش باختفاء ريم، تركت المنزل بدون حتى رسائل أو تنبهني، لا داعي لتلك الأمور لأن الخيالات إن لم أخلقها ستخلق لي بغير إرادة، لن يتوقف الونس بغيابها فإنني صديق الانعزال والوحدة والونس رفيق الوحدة والأشلاء المختلفة نابعة بداخلي وأقرب لي من البشر، صباح جديد بدون إشراق وفنجان القهوة والكافيين وونسي كالعادة مع فيروز التي تداعب أذنيّ ويليها كوكب الشرق (أم كلثوم) والحنين لهما أكثر سعادة من الأحداث غير المنطقي، أنزل للمقهى بعد شعور بالملل من المنزل بعض الشيء وأستمع لموسيقى صافية ولكن بلحظة يأتيني شعور غريب بأن شيئًا ما سيحدث، تمر الدقائق وأصادف بعينيّ من خلال ما أتلذذه برشفات قهوتي إلى (شادي) (شادي) شخص متوسط القامة أشقر البشرة وعريض الكتفين شعره ناعم متلون بالأصفر ولا أحد يلاحظ بأن ذلك الشخص شاذ (مثلي) بالمرة لحسن أسلوبه وتعامله القوي مع أصدقائه وما غيرهم وكان صديقي المقرب بالفعل، يأتيني فجأة بعد أن لاحظ نظرتي له ولكن لن يتلقى ابتسامة الترحيب ولكن رقي الترحيب الاعتيادي واجب..

شادي : أخبارك يا محمد؟.. واحشني جدًا.

- وأنت كمان يا شادي، أنا بخير طمني عليك أنت بس.

شادي : إنت لسة زعلان مني؟! حتى بعد ما كلمتك؟

- ولا زعلان ولا حاجة بس في حاجات كتيرة اتغيرت وأنا سعيد إنك بقيت أحسن..

شادي : أنا الحمد لله بعد العك اللي كنت بعكه حسيت إن ربنا غضبان عليا بجد وقولت كفاية كدا بقا وفضلت أعافر مع نفسي، وبقيت كويس ده غير المشاكل اللي لبست فيها بسبب الحوارات دي، وكمية غدر غريب حصل مكنتش متوقعه..

- اتغدرت ازاي؟!

شادي : شوية شباب ولاد.... اتهجموا عليا في الشقة بس مسكت أي حاجة بأيدي وفضلت أضرب أي حد فيهم قدامي وواحد منهم كان هيموت غير إنهم لفقولي قضية إني أنا اللي أذيتهم بس كسبتها أنا في الآخر..

- يعني أنت بطلت أصلًا عشان اتلدعت منهم، بس كويس إنها جت عشان تبطل زي ما بتقول وكويس إن ربنا هداك.

شادي : الحمد لله أنا كدا مرتاح والله عن الأول، بس أنت مكنتش عايز تشوفني لي بقا.

- مكنتش متحمس إني أشوفك أو مشغول عشان نختصر الكلام الفارغ ده.

شادي : بجاحتك وصراحتك ديمًا بتفاجئني بيها ومبزعلش منها عشان بتعجبني فيك **ديمًا،** بس أنت بقيت هادي أوي عن زمان يا محمد وبحسك رامي كل حاجة وراك، هو أنت كدا مرتاح فعلًا .

- أنا اخترت ده ومرتاح فعلًا.

شادي : طب وصحابنا بتوع زمان ايه أخبارهم؟

- معرفش حاجة عنهم غير لما بشوفهم على النت مش أكتر.

شادي : أنت بقيت غريب يا محمد بس مبسوط إني شوفتك.

- ربنا يديم بينا الخير يا شادي.

شـــادي : هســـتأذنك أنا بقا عشـــان هعمل شـــوية حاجات كدا وهدي المحامي فلوسه والدنيا دي.

- ربنا معاك..

متأثر جدًا بحالة (شـادي) خاصـةً بعد أن الشـباب كانوا يريدون أن يغتـالوه ويظن أنني لن أســـتطيع أن أحلل حـالتـه أمـامي، لن يتعـافى (شـادي) من مرضـه النفسـي الذي وضـع نفسـه به وكأنه أغرق نفسـه بطلاء التعري دائمًا ولكنه الآن ينتبه للذي حوله وعن من سيختلط معه

حتى لا يتم تعرضه لذلك الموقف الشنيع، وسيتم مطارده تلك الذكرى وراء شادي مدى الحياة متأثرًا بها يريد أن يتعافى، ولكن الطلاء لن يزول عنه إلا بإرادة خارقة، يستحيل أن يتم وضع شادي بمصحة نفسية لأن ذلك سيعتبر سجن له وسيكبر المرض بداخله وبمجرد خروجه بحجة المعافاة سينفجر الكبت للأسوأ، أسأل الله وأدعو بأن تتعافى يا شادي بأسرع وقت حتى لا يتجه مرضك للأسوأ وتتطور لاغتصاب الأطفال.

أذهب لمنزلي وأهدئ الأضواء بقدر المستطاع لحبي للظلمات والعتمة الرائعة التي أعشق مخلوقاتي الخيالية بها التي أحدثها بكل حين، بينما أكون مستلقيًا على فراشي وأنظر بعينيّ للأعلى، أرى حيتانًا صغيرة تحوم بالهواء والأكسجين يتلون بلون المحيط والدلافين الصغيرة أتلامسها بيديّ وأتلاعب بأنفها الكبير وابتسامتها تشعرني بسعادة رائعة ومن ثم يتحول لون الدلافين وشكلها لأخطبوط رائع يشع من أقدامه الثمانية وميض قوي أبيض وكأنه يؤثر بعينيّ، ويتداعب مع ذراعي وتلتصق أقدامه بي بلطف وأشتهي للنظر لعينيه الصغيرة السوداء اللطيفة، أصوات الحيتان ترتفع وكأنها تناديني لأنتبه لها ولأمسح يديّ بظهرها الذي ينفر منها الماء من خلال ثقبها، وتأتي لتتلامس كتفي وتحوم بالأعلى بمظهر خلاب لا مثيل له وها أنا أذهب للنوم بهدوء ولكن تم خيانتي من باطني بالأحلام الاغتيالية كالعادة وفزعي بعد ذلك الاستلقاء كان قاسيًا.

مر أكثر من يومين تقريبًا لن أذهب للأميرة، أظن أنني أريد أن أغير بعض طقوسي للذهاب إليها، أبحث عن القهوة التي أعطتها ليالأميرة ولكن لا أثر لها وحدسي يقول لي بأن ريم هي من أخذتها، اتجه لبوابة القصر واستدعيالأميرة لكي أراها وتأتيني بعد دخولي لمملكتها وتسألني عن اختفائي، وأجاوبها بأنني تحسست ببعض الإرهاق وكان يجب علي الارتياح، لاحظت بعينيها الحزن لفراقي لها بعض الأيام، والأسى والندم من الموقف الذي حدث من خلالها لي، وأراها مترددة الأسف، جلست بجانبي تتحدث برفق وهدوء حزين وتتفوه منها كلمات لن أظن أنه سيصدر منها (اشتقتلك كتير).. تلك الكلمتان يسحران قلبي وكأنها بحثت كثيرًا بمعجم حياتي لترى ما سيثير إعجاب قلبي لها منبضًا بالحنين، أبتسم كالذي اشتاق لمحبوبته وأتلامس يديها بهدوء وتتكئالأميرة برأسها على كتفي وكأن السعادة وراحة القلب عادت لها من جديد، أظنها أميرتي بعد تلك اللحظة..

الأميرة : متعملش زي بابا.

- هو عمل اي؟

الأميرة : مات وسابني.

- الله يرحمه، هو أكيد غصب عنه ودي حاجة بتاعت ربنا وبعدين أنا مموتش وفاضلي حبة إن شاء الله.

الأميرة : ربنا يخليك ليا.

- مش عارف أقول أي بأمانة، بس ربنا يخليكي انتي كمان.

الأميرة : ليك بقا.

- آه لينا كلنا.

الأميرة : يا عم أنا مش عايزة حد.

- يا باشا لقلبي.

الأميرة : باشا!! إنت بقيت سوقي أوي بغيابك.

- يعني في واحدة بتقول يا عم ولا خلصانة ؟!

الأميرة : أي رأيك فيا احلويت صح؟

أرد بصوت هادئ ..

- آه بقيتي جمل..

تبتسمالأميرة وتنظر إليّ بتعجب..

الأميرة : أنت بتقول اي؟!

- بقول بقيتي قمر.

الأميرة : آه بحسب.

أرد بصوت هادئ..

- لا احسبي يا غزالة.

تبتسمالأميرة وتضحك بهستيريا وترد..

الأميرة : إيه غزالة دي!!

- أنا قولت غزالة؟

الأميرة : مش عايزة هزار.

- لا خلاص والله، انتي احلويتي فعلًا ومنبهر، أنت عملتي عملية تجميل؟

الأميرة : أقولك عملت أي ومتزعلش؟

أرد بصوت هادئ وأنا متجه برأسي عكس اتجاهها لي..

- أسبلها دي ولا أعمل فيها أي؟!

الأميرة : بتقول حاجه؟

- سلامتك، أظن كفاية عشوائية صح؟

الأميرة : اللي تشوفه يا عم..

الحديث بيننا كان ســـاذج مجاريتة للأمور وانتهى الحزن بيننا ولا مواقف سـيئة سـيتم تكرارها تقريبًا عم أظن، تبدأالأميرة بتسـاؤلها لي عن أكلاتي المفضـلة لأجل تناولها سـويًا ولكن أطلب فنجانًا من قهوتها الرائعة ويتم تقديمها إلينا وأحدثها وأتســـاءلها عن الأوقات التي تكون سعيدة بها لأتعمق بشخصيتها أكثر، تجاوبني بكل تلقائية أن كل ما مر بيننا بأنه جعل لها ذكرى ســـعيدة بالفعل لدرجة أنها كانت تريدني أن

أتواجد أمامها دائمًا بالرغم من العلاقة التي حدثت بيننا والموقف الذي تعرضت له منها، وأظن أنالأميرة خلقت لي، ولأمتلكها ولكن الحسرة بداخلي ما زالت متأثرًا بها ويقيني بأن البشر دائمًا عابرون لن ينتهي، اتلذذ بالقهوة التي اختفت من منزلي وكنت اشتهيها وافتقدتها كثيرًا، أتلصص بعينيّ لصدرها الذي يملأ غريزتي التي أعتبرها ببعض الاحيان ماسوشية الطبع وأتلذذ بالتدقيق لرقبتها ذات التحديدات الراقية ولكن أتملك من بداية تحويلي التام لأغمائي بها وأبدأ حديثي لها..

- تعرفي إن بتيجي عليا أوقات بكون عايز أمشي على رجلي لمسافات كبيرة بس ده في أوقات مثلًا لما بكون مدايق أو حابب ده عادي بس مبحسش بالتعب غير بعد وقت طويل.

الأميرة : عشان كدا أنت كنت جايلي تعبان قبل كدا، عمومًا أنا كمان بكون حابة ده وبكون عايزة أعملها بس لما بلاقي الحراس بيدايقوني بفصل وبفضل مكاني.

- لينا وقت نتمشى فية سوا ومحدش هيرخم عليك يا عم.

الأميرة : متفقين.. بس عايزة حاجة كمان احكيلك عليها.

- اتفضلي..

الأميرة : تمام بس مش عايزاك تتأثر بقا وتدايق والكلام ده، أنا هفضفضلك شوية.

- يا عم عنينا.

الأميرة : أنا حاسـة إني زعلتك أوي برد فعلي اللي حصـل آخر مرة، كان غصب عني صدقني، أنا قولت اعتذرلك الأول.

- لا مش زعلان من حاجة متقلقيش

الأميرة : أنا عارفة ده بس قولت برضـــه عشـــان متحســـش إني قليلة الذوق.

- ياريتك ما اعتذرتي، المهم بقا؟

الأميرة : حاسة إن النكد مش وقته بصراحة عشان مبسوطة بقعدتنا دي.

- شيء غريب برضه بس الحوار عادي، هستأذنك أمشي عشان محتاج أنام.

الأميرة : أنت زعلت؟!

- لا والله محتاج أنام فعلًا.

الأميرة : تيجي بكرا طيب عشان هحتاجك.

- عيوني.

تراهـــات

تأتيني تلك اللحظة العاشـــقة للانعزال واختلاق التخيلات الســـيئة، أتمنى بعد عودتي للمنزل أن أغفل بـالنوم ســـريعًا حتى لا أخوض معركة اخرى، ويتم تفادي تلك التراهات التي ســـتتولد من الباطن المختل، لا سبيل من الهرب وأعلم أنني سأتلقى آلامًا مستعصية بعض الشيء.

وصـــلت للمنزل وأســـتلقي نومًا لفراشـــي الهادئ، وأبدأ باســـتماع خطوات تقترب ويظهر الوحش الذي تكون من ذاتي، إنه أســـود اللون ليس بقبيح المظهر لي وأصـــابعه مدببة وحادة كالمســـامير الغليظة، حاملًا بيديه كأسـين نبيذ والسـجائر لكي نتحلى ببعض الذكريات سـويًا ونتألم بها.

وها هي نبضـــات القلب تهدأ وتصـــبح غير مريحة بالحزن وها هي قســـوة الأوقات تزيد بوجود المخلوق النابع من باطني، ذلك المخلوق الأعظم المحبب إليّ يحتويه داء الوفاء والإخلاص وونســـه الوحيد بي يلازمني دائمًا بالتفكير والمناقشـات الحزينة والمواقف الحسـاسـة بي، ويأتيني بالهوان ببعض الأوقات، ذلك هو ســلاحه بأن يســتنشــق مني تكرار الذكريات المؤلمة وأتحسس باللحظات السابقة بالأسى وأتحسس نبضـــاتي بعدم الارتياح تدريجيًا، الأوقات التي أتهرب منه بعدم حديثي عن نفســـي يذكرني هو بها كمشـــاهدة فيلم بدار الســـينما التي تؤثر بي حتى أتألم أمامها من جديد رغمًا عن أنفي، أشـــتهي بغرفتي بأن أفتح نافذتي لأرى القمر ونجومه المتعددة وأتقن بخيالي بأن أوصـــل النجوم ببعضـــها لأرى أحبائي القدامى وأجمل وجوههم وطباعهم القذرة التي اعتـادت أن تؤلم خـاطري وتعمـدت تحـدث لي الحســـرة بـالأوقـات الماضـية، دماء تغرق كتفي بدون داعي لأن يحدث لي مكروهًا واقعي

ولكن المؤكد بأن باطني يتلاعب بي الآن، أتحســـس بألم قوي وأتفقد كتفي بالمرآة وألاحظ وجود ثقب وســـط دماء لا أعلم متى نزفت وكأن تلك آثار رصـــاصـــة من عدو ما ولكنها واحدة من تلك رصـــاصـــات الباطن اللعين، يتملكني الألم وأقفل النافذة حتى أتمكن من الصـــراخ بدون أن ينتبه أحد من البشـر ويتدخل بعالمي الخاص، ضـجيج عالمي الخـاص بـالتخيلات مؤلم أكثر بكثير من الواقع، بـالرغم من أن الواقع هو ســـبب تراهاتي الباطنية ويتملك من عقلي من خلال أذنيّ، وباء الواقع يؤذيني من جديد بم يحتويه من مســـاوئ، اضـــغط بيديّ بقوة مبالغة على أذنيّ حتى يهدأ الضـــجيج الموبوء عن أذية أعصـــابي وما زال مسـتمرًا وألاحظ من خلال تحركاتي الجسـدية المتألمة للمرآة بأن أذنيّ تنزف دماء وبؤرة عيني تميل للأبيض وكأنه سيتم تحويلي لوحش غريب، اختفاء الضـــجيج بلحظة وانعدام وجود المخلوق اللعين وكأن باطني قد تشبع وتلذذ من أذيتي بم فيه الكفاية.. بعد معاناة وعفوية معي أســـتلقي على الأرض نائمًا ولا أحلام لدي بذلك الاســـتلقاء بم قبله من قسوة.

استيقاظ رهيب وأتحكم بأعصـابي بعض الشـيء وأهيئ نفسـي لكي أذهب للأميرة وكأنها المنجى الوحيد من باطني العفوي المختل، أذهب إليها مســـرعًا، وأرحب بكل تلقائية على الحراس والخدم بلطفهما معي كـالعـادة، وهـا هي أميرتي اللطيفـة تـأتيني بملابســـهـا الراقيـة وأتـذكر بلحظات ضحكاتها المتعالية وأشتهي بأن تكررها الآن لعشقي لصوتها، الذي يظهر لي موجاتها الصـــوتية الملائمة لحياة ســـعيدة كنعيم الدنيا، تبتسم أمامي وأظن أنها بداية السعادة والطريق لنعيم فردوس لن يتكرر ولا تمل منه الملائكة، أرحب بها بيديّ وأشـــتهي أحضـــانها لمنجى بمنتهى الرقة ولا خمول إلا لبداية علاقة جديدة رائعة..

الأميرة : ازيك يا محمد.

- أنا مبسوط بيكي جدًا وكويس إني شوفتك.

الأميرة : أي حكايتك بقا؟!

- مبســـوط فعلًا إني شـــوفتك وعايز حاجات منك كدا بس مش هقول حاجة وخلاص يعني.

الأميرة : طب أنت اتمنى بس وشوف هيحصل ولا لأ.

- لا يستي أنا واحد مش عايز منك حاجة خلاص..

الأميرة : أنت بتوترني بتقلب مزاجك ده.

- أنا جعان.

الأميرة : أنا عازماك أصلًا والأكل جاهز.

- طب يلا عشان مش قادر.

مائدة الطعام المكتملة كعادتها وتلذذ عيناي باللحوم التي أمامي، جلوسنا الآن على المائدة مختلف وهي الآن بجانبي ونبدأ بالتناول سويًا ويبدأ الحديث اللطيف والضـحكات المتعالية تنهال بنا تدريجيًا وذلك ما كنت أنتظره حتى لا أتذكر ما حدث لي من قبل، بهذه المره بتناول الطعام يغمرني ســعادة شــديدة ويتفوق عقلي على الحزن والذكريات الحزينة وحدســي بانتظار الحســرة اختفى قليلًا ولا أبالي له حقًا بتلك اللحظـات الجميلـة التي تبرق عينـاي، تلاحظـالأميرة لأول مرة عينيّ وهي تبرق بســطوع الضــوء عليها وتتعجب متجملة وتحدثني بتجميل مظهري وتظهر جمـال ملامحي أمـامهـا ولكن لا أبـالي بتلـك الكلمـات المتجملة بسبب سعادتي بوجودها أمامي وأحاول أن أتشبع من مظهرها

المنعم لعقلي، انتهينا من تناول الطعام ويبدأ حديثتنا عن الحيوانات اللطيفة وكم مداعبتها بكون لطيف بذكر تفاصيل رد فعلهما، وسط الضحكات أتمسك بيديها بهدوء وجسدها يبدأ بالأرتعاش بمجرد لمسي لأصابعها واختلاق إغماء شديد بها وهي تحاول أن تقاومه ولكن لا محال من الهروب من ملامساتي التي تُذهب عقلها بين يديّ والاقتراب منها بتلك اللحظة أكثر سهولة من العلاقة التي سبقت، وألاحظ كلمات مبسطة من شفتيها بأنه علينا الذهاب لغرفة ما تجمعنا، أحاول أن أجعلها تحت سيطرتي أكثر حتى يتم ذهابنا لفراش ما، وتأتيني بداية الخطوات اللطيفة بها للذهاب لغرفة وكأن تم اغتيال عقلها بواسطتي وأنا المتحكم الوحيد بها، أجمل معركة مرت بحياتي وستمر بحياتي على الإطلاق، واستيقاظ من النوم بعد إر هاق ممتع، أتعجب بوقت النوم الذي خانني، وأربالأميرة بأحضاني مستلقية برأسها على صدري متجملة برائحتها المسحرة للعقل من خلال استنشاقي لها، تستيقظالأميرة وتنظر إليّ وتنهض من على صدري وتتمسك بالغطاء، وما زالت نظرتها لعينيّ تتسائل عني لتطمئن وأمد ذراعي لها بكل تلقائية لكي أحتضن جسدها الذي اشتقت له بمجرد أنها نهضت من علي وتأتي لي متحسسة بالأمان وتتفوه بكلمات الحب..

الأميرة : أنا حبيتك ليه ؟

- غريبة، بس الموضوع لطيف.

الأميرة : أنهي موضوع بالظبط؟!

- حبك ليا ده، عجبني أوي بأمانة.

الأميرة : أنت طلعت.... أوي تتملكني ابتسامة بسيطه..

- لا كدا نفركش بقا.

الأميرة : اتلهي.

- لا الموضوع اختلف، أنت بعد كدا تقوليلي يا بابا.

الأميرة : شوفت رد فعل الاسكندرانية لما مفيش حاجة تعجبهم؟

- قلة أدب من أولها.

الأميرة : اتلهي تاني..

- نهارنا أبيض، الساعة كام؟

الأميرة : احنا الصبح بدري مش عارفة.

- عظيم أوي..

تملكت من قلب الأميرة ليل ويمكنني أن أقسو على قلبها بأي وقت ولكن طباعي ليست بتلك المساوئ، هل سيحل علينا السعادة الغامرة، أم تلك بداية جميلة لتخلق حسرةً جديدة؟ وما زلت أجاري الأمور كالعادة وأشتاق لمنزلي من جديد فبذلك أنفرد مع عقلي وتخيلاتي وتفكيري بتفسير لكل ما حدث وسيحدث، أودع أميرتي عن ذهابي للمنزل وأرى بعينيها الحزن وكأنني لن أعود إليها مجددًا وأجاوب تساؤلات عينيها لي بأن تكرار سيري للقصر سيتكرر أكثر لأجلها بدون مواعيد رسمية بيننا.

ذهابي للمنزل هذه المرة قد أحزنني وأتجه للمقهى المفضلة لي وبدأ جلوسي بالمقعد المفضل لي، بعد جلوسي مباشرةً أستمع لصوت هاتفي يرن وأنظر إليه وأتعجب من شخص ليس محبوب لي وأنه ليس إلا بشري كعادة المارة التي أقابلها يوميًا، إنه (سامح) أرد على هاتفي..

- الو؟

سامح : محمد؟

- أيوا، مين؟

سامح : سامح معاك، أنت هتفضل لحد امتى مش مسجل رقمي؟

- عامل إيه يا سامح؟

سامح : أنا كويس الحمد لله، أنت فينك؟ عايز أشوفك عشان واحشني.

- طب تعالى أنا في الكافيه اللي بقعد فيه على طول.

سامح : تمام، اديني ساعة بالكتير عشان الطريق ،أشوفك على خير، سلام.

(سامح) من تلك الشخصيات ذات الطبقة عالية الثراء بسبب والده المستشار ولكني دائمًا أراه ذا الشخصية السطحية بسبب تكرار أحاديثه عن نفسه بثرائه بسبب والده وبأنه شخصية مرموقة بالمجتمع، وبسبب مضايقتي من ذلك الأسلوب قد تم إهانته وسط أصدقائه منذ سنتين تقريبًا وما زال متذكرًا ذلك الموقف لي، ويحاول أن يتملك من شخصيته أمامي ويتم رد الموقف ولكن حسرته بأنه يعلم ويتيقن بأنني أقوى منه بأضعاف وبالرغم من كل ذلك يحبني بعض الشيء، ومنجذب لشخصيتي ويحاول أن يتقنها.

أتى لي (سامح) بترحيب قوي بعد فترة كبيرة لن نرى بعضنا بها و(سامح) دائمًا متعجب من تزييني البسيط لنفسي ويعجبه ذوقي وأسلوبي بالتعامل مع جميع الفئات وها قد بدأ الحديث بيننا..

- اقعد يا سامح، تشرب ايه؟

سامح : تشرب أنت ايه؟

- أنت اللي جايلي، انجز.

سامح : قهوتك.

- زيي يعني، بس دي تقيلة عليك.

سامح : لا ما أنا خلاص اتعودت عليها من فترة.

- يا عم عنينا.

سامح : بصراحة حبيت أشربها زيك عشان كدا اتعودت عليها.

- ما خلاص يا سامح عرفت.

سامح : طمني عليك عشان واحشني جدًا.

- أنا بخير، أنت الدنيا معاك ايه؟

أنا فلة، مبتشوفش حد من الرجالة؟

- معرفش حاجة عنهم.

سامح : هتفضل انطوائي ديمًا، ده معجزة إنك رديت على التليفون.

- ولا انطوائي ولا حاجه، أنا حابب أريح دماغي وده عادي يعني.

سامح : ديمًا معجب بيك وباهرني كدا.

- أي خدمة..

سامح : بقا يا راجل يحصلي حوار عندك في الشارع ومتكونش موجود؟

- حوار إي؟ ولي مكلمتنيش؟

ســامح : لا يا عم قولت متعبكش وكدا كدا الموضــوع خلص بســرعة يعني وكان من فترة كبيرة أصلًا.

- احكي طيب أي اللي حصل.

ســامح : يا عم كان واحد بيتحداني وكان مرتبط بواحدة تبعي وقال إيه عايز يخطبها وبيحبها بقا وهي اختارتني أنا في الآخر بس أصلًا أنا سيبتها في الآخر بعد ما اختارتني قدامه.

- كمل يا سامح معلش وقولي تفاصيل أكتر.

سامح : الواد ده تبعك ولا اي؟!

- عايز تفاصــيل أكتر معلش، طب ثانية واحد هو أنت ســاعتها كان معاك عربية (أودي) بيضة؟

سامح : آه أنت عرفت منين؟

- غضـبت بطريقة صـعبة لأنني تفهمت وتأكدت أن (سـامح) هو من بعث الغولين ليضــربوا الفتى الذي أخذته لأداويه لمنزلي، تفتحت عيناي أمام أعينه بالغضــب وثار قلبي لألتهم أحشــاء سامح بتلك اللحظة، ينظر لي (سامح) ويتعجب خوفًا..

سامح : هو الواد ده تبعك؟!

ألاحظ أعين سامح بالرعب مني وكأنني سأغتاله به.

- أنت بعد ما مشيت مع الهانم بعت رجلين عشان يضربوا الواد وده طبعًا لأنك عيل خرع وجبان وأصــلًا اللي باين قدامي إنك غلطان.

أنت ظلمت الواد ده يا سامح.

ســـامح : أنا معرفش إنه تبعك يا محمد والله وأكيد لو أعرف مكنتش هكلمه وأسيب البنت كدا كدا كانت مجرد تسلية.

- حلو كلامك وعجبني، بس بردو الواد مش تبعي وأنت عارف إني بكره الظلم أوي، صح؟

سامح : أنا مش فاهم حاجة بس أنت إيه يرضيك يا محمد.

- هقولك ايه يرضيني بس تيجي معايا مشوار صغير.

سامح : تمام مفيش مشاكل.

- يلا نركب العربية بتاعتك.

نهضـنا من الطاولة بعد محاسـبة الشـيك بهدوء وركبنا السـيارة التي يمتلكها سامح ونذهب أمام الشارع الذي أسكن به..

- اركن هنا يا سامح.

سامح : تمام اهو.

- تعالى نقعد ورا هوريك حاجة بايظة عندك هتتفاجئ منها.

سامح : بايظة

- أيوة يا عم يلا بس.

سامح : يا مسهل.

جلسـنا بالخلف وأنظر لأعين سـامح بغضـب وأقبض بيديّ بملابسـه من صدره وأضرب أنفه بجبهتى، يتفاجأ سامح من دمائه، لم يكن يتوقع ذلك الفعل مني.

سامح : محمد أنت اتجننت.

- لسة يا قلبي هتجنن.

قبضـــات يديّ تلتهم وجه ســـامح الغارق بدماء وجهه وصـــراخ من أحشـــائه المتألمة اســـتمتع بها وما زلت أهين ســـامح على القســـوة التي أحدثها بالفتى وبقلبي لحزني له، وها أنت يا ســـامح تذوق مرار الدماء الذي أذقتها لغيرك وأتحدث معه وسط عنفي أظافري وهي تكاد تقتلع وجهه.

- دوق يا ســـامح اللي أنت عملتو لغيرك، اديك اهو مش عارف تقاوم زي الغلبان التاني مكنش عارف يقاوم وجيبلو اتنين بهايم.

صـــمت ســـامح من كثرة التألم وصـــار يهمهم بنبرات غير مفهومة متوجعًا لما يحدث، لقد تشـــبعت من تلك اللذة يا ســـامح وأخرج من سيارته وأذهب لشقتي أستعد لاتجاهي للنافذة لرؤية سامح بعد المعركة التي أحببتها كثيرًا، أقفل بابي بعد دخولي وأخلع ملابسي كعادتى عندما أعود لشـــقتي وأشـــعل ســـيجارة وأذهب إلى النافذه مســـرعًا، ما زالت سيارة سامح أمامي جميلة خارجيًا ولكن يصحبها دماء بالداخل، أشتهي أن أراه كثيرًا وها هو ســـامح أجمل رجل بالكون والاســـتهزاء به أمر ممتع بالنســـبة لي، خرج من الســـيارة مســـتلقيًا على الأرض يحاول أن يمســـح وجهه بالماء والمنشـــفات وحبي له قد ازداد لدرجة أني أريد أن أراه كل يوم ولكن لا أبالي له مرة أخرى وقد أخذه ما يســـتحقه بالفعل، كم أنت ممتع يا ســـامح! لقد تلذذت عقليًا وبدنيًا بوجودك وباتصـــالك لي وحديثك الجميل ولن تنسى ثاني موقف قد تم إهانتك به بواسطتي.

ســـعيد جدًا بتلك اللحظة وآثار دماء ســـامح على يديّ تتمتع عيناي بالنظر إليها، أغســـل يديّ من دمائه التي كادت أن تجف بها وأذهب لفراشـــي الملكي للنوم والتفكير بانتصـــاري ويا له من اشـــتياق ولكن لمن اشتاق؟!

تشـويش الأفكار يؤثر بعقلي كثيرًا والتركيز بتفاصـيلي صـار أمرًا معقدًا واعتيادية تسليط الضوء من الثقب الذي اختلقته من باطني لكتفي الذي تم جرحه من الرصاصة التي تؤلمني كثيرًا، يبدأ انصهار جسدي وأنا متكئ على سريري مستلقيًا على الأرض وتتلاشى أجزائي وأنظر لنفسي عاجزًا عن الاستفاقة والأمر ليس غريبًا لي لشدة تكراره، أحاول المقاومة بكل ثانية أفكر بها ويشـتد الأمر صـعوبة وها هو جسـدي يحاول أن يتماسك عن انصهاره ورأسي تؤلمني ولكن عفوية المقاومة لا بد منها، نومًا مسـتلقيًا على الأرض بعد إرهاق بدن وتفكير مشـوش وتألم الأحلام الرديئة بالذكريات بتلك اللحظة.

اسـتيقاظ مؤلم جديد.. أظن أنه تم اغتيال عقلي مجددًا وأصـبت بالعمى الجزئي بالسـعادة اتجاهًا لتفكيري للأميرة ليل واشـتياقي لأحضـانها، أرحب بها بكل رسـمية وتتعجب من ترحيبي وكأني لا أتصنع ذلك الفعل، أتلامس أصابعها الراقية وأتمسك بيديها برقة وأقبلها لشـدة إعجابي بجسـدها المنعم، وأحتضـنها بكامل جسـدي وتحسـست بنبضـاتي المتسـارعة وتتسـاءل ما حل بي بعيدًا عنها ويتمكن الصـمت مني ولكن نظراتي لها قد وضـحت لها عن اشـتياقي وطمعي بالنوم بجانبها وكأنني الطفل الذي ينجو لأحتضـان أمه بعد أن جرح بسـبب اللعب بالشـارع بعيدًا عن المنزل، أخذتني للغرفة التي داعبتها بها بوجود الفراش الملكي الخاص بها، اجلس على الفراش ناظرًا للأسـفل ضـاغطًا بيديّ ومتمسـكًا بالغطاء وتجلسـالأميرة بجانبي وتحتضـنني متأثرة بي.

امتزاج جســـدين من جديد وهروب من الواقع واغمائنا ســـويًا وتبًا للـذكريـات اللعينـة التي لا أبـالي لهـا بتلـك الحظـات، لجنوني بأميرتي ليل..

الأميرة : مالك يا محمد؟

- بخير..

الأميرة : مش أوي.

- حاجة زي كدا.

الأميرة : احكيلي أي حاجه، حسسني بأي حاجة فيك.

- تعرفي حاجة عن الخيال؟

الأميرة : اللي هي أي حاجة نفسنا فيها بنهيأها لنفسنا.

- أنا بقا مش اللي نفســـي فيه بس، أنا أغلب الوقت في الأســـوأ ومش بمزاجي.

الأميرة : أنت بتفتكر ذكريات وحشه؟

- ياريتها على دي بس، المشـــكلة في الضـــلمة اللي تخلق أذية للنفس والبدن، المشكلة في الدمور الإيجابي والأحلام الصعبة اللي لسة ورايا ومش هتنتهي تقريبًا، أنا كنت متعود عليها بس لما بيكون في حاجة بتهون عليا ١% ده كله بيأثر فيا أكتر، أظن أنت ال١%.

الأميرة : بقا أنا ١% يا محمد؟!

- يا ستي مش قصدي، استني هنا إنتي دي اللي علقت معاكي؟!

الأميرة : مش أشوف يا عم أنا عندك إيه..

- لا شوفيني أنا الأول.

تُقبل سارة رأسي بعد ابتسامة لطيفة لي، ويا لروعة شفتيها!

المتمكنة من تهدأتي.. لحظات مجددة بالتفكير والتساؤلات يتم إعادة تدويرها بعقلي، هل تلك اللحظات السعيدة هروب من الواقع؟!

هل أتقنت السعادة؟!

هل ما زلت حزينًا رغم إغمائي بالعلاقة؟

ما زال الحلم يؤلم..

حنين صاخب

ما زال العالم في القاع بعض الشيء..

يا للهول!! ســـوف يتم إحباط قلبي أكثر ولعنة الذكريات تدور من جديد كخسـوف الشـمس وهذا ما اعتبره خسـوفًا لقلبي، الذهاب للمنزل على الأقدام غارقًا بالتفكير وكأنني أحاول الوصول لسطح مياه المحيط من جديد، كثرة التألمات تحطم ما يتبقى من المنزل، وانهيار عفوي للأعصاب من جديد، هاتفي يناديني وأذهب إليه مهلكًا ومتعبًا..

مين؟

وسام : وسام، محمد؟

- ازيك يا وسام، بقولك ايه انتي فاضية دلوقتي؟

وسام : اشمعنى؟

- تعاليلي البيت عايزك في شغل معين.

وسام : بتهزر؟!

- لا طبعًا، استعجلي نفسك..

وسام : تمام..

(وسام) فتاة سمراء حسناء الوجه إضافة لطيب القلب، فتاة ينطبق عليها مثال المئة رجل بالفعل، كانت بيننا علاقة جميلة وانتهت بلطف واحترام بيننا ويعتبر مثال مشـرف للعلاقات المتفاهمة، أحبتني وســام كثيرًا وأحببت تفاصـــيل قلبها وحتى بتلك الذكريات التي تعمدت أن تخبئها عني ولكن احترمتها كثيرًا لعدم فضح أسرارها الخاصـة، أتلذذ كثيرًا بأن أدعوها بمحبوبتي وطفلتي، شـــيء ما يريد أن يجبرني أن أتزوجها ولكن تلك الحسـناء ليسـت التي أحببتها بكامل مشـاعري التي

هدمت بالرغم من أنها تداوي قلبي بعض الشـــيء، ما زلت بغرفتي انتظرها لكي تنقذ ما تبقى من عقلي، أظنها منجى لي بذلك الوقت، أستمع لصوت بابي يُفتح ولكن تذكرت أن (وسام) معها نسخة من مفتاح شـــقتي وأتعجب بأنها ما زالت محتفظة به، أتقدم إليها بســـرعة مبالغة واحتضـــنها كثيرًا وما زالت أصـــابعها الرقيقة التي تتمســـك بظهري أتلذذها وقد اشتقت بالفعل لتلك الأصابع..

وسام : مالك يا محمد؟

محمد أنا لما بفتكرك أو أشـوفك بتعب، فيك حاجة غريبة مش فاهماها غير إني بزعل على زعلك، أنا معاك بكون مرتاحة وواثقة فيك أكتر من نفسي.

- ممكن ننام شويه؟

وسام : احي! أنا جاية أنام؟! يلا ننام يا محمد.

- أنا قصدي نروح للسرير، مش عايز غباوه.

وسام : أنا مش هعمل حاجه.

- أنت جيتي على أســاس شــغل، وراكي شــغل معين بقا لازم يخلص.

وسام : بتهزر صح؟!

- تعالي هفهمك..

أخذت (وســـام) من يديها الرقيقة ذاهبين لغرفتي وألقيها على الفراش وأصـــعد عليها وأنظر لعينيها بتمعن واشـــتياق وأتلامس وجهها بأصابعي، أراها أمامي مبتسمة وكم أعشق ابتسامتها البشوشة التي تبرق عيني وتجعلني أثار لشفتيها وقد تخلصت من جميع آلامي وأذوب بقهوتي المفضلة (وسام)، تداعبنا بالمزاح واستشعار أجسادنا لبعضها البعض وقد تكونت بداية جديدة بيننا لحياة أرق بالسعادة.

بعد انتهاء المعركة الحميمة.. نهضت وسام من جانبي واتساءلها لما ذلك النهوض السريع؟

- رايحة فين؟

وسام : إنت نسيت القهوة اللي بعملهالك على طول بعد ما نخلص ولا ايه ؟ ده إنت مش على بعضك خالص.

- لا والله بس الظروف مش لطيفة الفنرة دي، بس مبســـوط بيكي اوي.

وسام : هو أنت من غيري هترتاح يعني يا محمد؟ خليك منطقي بقا.

- تصدقي صح، شكلي هتغابى بعد كدا.

وسام : لا والنبي مش ناقصة، أنت خليتني أجيب آخري أصلًا.

- الله أكبر.

وسام : يا عم اللهم لا حسد.

- حلو كدا ويلا عشان القهوة تتعمل.

وسام : فل يا عم.

تذهب (وســام) للمطبخ لتصــنع لي فنجان القهوة الخاص بي ولكن هناك ما يجبرني بأن أذهب إليها من شــدة اشــتياقي لها، لم أكن أتوقع شـدة حبي لك بهذه الطريقة يا ايتها السـاحرة السـمراء (وسـام)، أذهب إليها واحتضـــن ظهر ها برفق، انتهت من صـــنع القهوة وتم تجهيز فنجاني وتبعده عني لتتمكن من احتضــاني وها تبدأ بعفوية، الاشــتياق والقبلات السـحرية المتباعدة عن شـهوات العلاقة الجنسـية، ما زالت ساحرتي السمراء (وسام) تتملك مني بكل حين وتثير شـهوتي وتتعمق بما داخل قلبي، ذاهبين للفراش سويًا ومعها قهوتي لكي تضعها بنفسها على طاولتي الخاصة أمامي كعادتها وكم تعشق تلك الأفعال معي وأبدأ الحديث معها.

- أنت أي فكرك بيا صحيح.

وسام : اشتقتلك.

- يعني مش عايزة مصلحة معينه؟

وسام : لا المصلحة خدتها خلاص.

- ده انتي بتستهبلي بقا.

وسام : لا والله أنا افتكرتك وحسيت أن عايزة أشوفك بجد.

- إنتي كمان وحشاني جدًا وجيتي في الوقت المناسب.

وسام : دايمًا أنا كدا، الله اكبر عليا.

- معلش.

وضعت رأسي على صدرها ويا له من ارتياح قوي وجميل، كم أنا أحبك يا وسام! كيف لي أن لا أتذكرك بعد كل تلك الفترة وبين كل تلك الآلام، تسألني (وسام) عن ماذا حل بي بفترة الغياب وعيناها تتأثر ولكن (وسام) تتفهم دائمًا صمتي ونبضاتي اللعينة وتتلامس بيديها على وجهي وصدري لأطمئن بوجودها ودائمًا هي ناجحة بأفعالها التي أعشقها، ويا ويل عشقي لك يا أيتها الساحرة السمراء.

استشعار الإغماء.. رعشة الجسد المرهقة، بتلك المرة يوجد شرطي يصعقني بكامل الظلم ويتلذذ بتألمي أمامه وما زلت أحاول الصراخ ولا فائدة من صدور الصوت ولكن تلك الآلام يجب الصراخ بها لتهونها بعض الشيء، أستيقظ من النوم بصفعة مؤلمة من (وسام) وانقذتني من ذلك الحلم المرير، تحاول (وسام) أن تهدئ من رعشة جسدي وتتمسح عرقي وتتحسس بيديها على صدري لأتنفس برفق وتهدأ نبضاتي، لقد زعرت وبكت لما يحدث لي أمامها، ونظراتها تظهر تساؤلاتها لتدفق عن ما يحدث لي وهل تحدث معي تلك المناوشات دائمًا أم لا، لم أكن أريد أن تراني (وسام) بذلك الحال ولكنها تتفهم شخصيتي وتتملك جزءًا من عقلي وبينما أهدأ قليلًا تتفوه لي برفق..

وسام : فهمني يا محمد أنت لي بيحصلك كل ده؟

- روحي هلكانة أكتر من جسمي يا وسام، مبقتش شايف النور إلا مرتين كل شهرين والعتمة بقت راحتي وعقلي ديمًا مش ملكي والكلام على الورق مش مع غيري وبساطة الأغاني الحزينة بقت تأثر فيا بسهولة والدموع مبقتش لاقيها وديمًا في معركة في الضلمة هنا وحتى لو برا أنا لسة في معركة، أنا محتاجك يا وسام، أنا محتاج ارتاح..

وسام : أنا جنبك، متقلقش ولا تخاف من حاجه.

- بكره الكلام ده، اسكتي أحسن.

وسام : تعرف إني بحبك أوي أوي.

- وأنا جدًا بس مبقاش ينفع، وكفاية لحد هنا يا وسام.

وسام : كفاية أي بالظبط يا محمد؟!

- كفاية وبلاش قسوة على قلبي أكتر من كدا، أستفيق من إغمائي بالخيال والشعور به كأن وأتألم ودموعي تخون عيني المتمكنة من حفظها مع تذكري بأن (وسام) توفت منذ سنتين، يا لحسرة قلبي الذي اشتاق اليها واستشعر بثقب أسود لعين بمنتصف قلبي يتلاعب بما حوله من شرايين وأحشاء للتألم الأقسى، فارقتني الساحرة السمراء (وسام) ولن تجيب على هاتفها ولو لمرة واحد بعد وفاتها وتيقنت، بعد فترة أن رحمة الله أوسع من الدنيا التي طبعنا بها اختبارًا وما زال فراقها مرير لعقلي حتى الآن.

حسـرة

يأتيني المخلوق الأسود اللعين متمشيًا ويقترب لي بابتسامة خبيثة تصل أواخر شفاته لأذني وأسنانه البيضاء تستفزني والشماتة مليئة به اتجاهي، ياليتني أستطيع قتله لأشفي غليلي من أسنانه وعينيه المستفزتين، اللعنة على وجهك المخيب لأشتهاء النظر للبحار والمحيطات، ويبدأ حديثه المروع النادر معي..

المخلوق : عملتلك ذكرى سعيدة شوية وكمان شخصية أنت كنت بتحبها بجد، أعملك أي تاني عشان تكون مبسوط؟

- عايز أي مني؟ أظن أنك مرتاح دلوقتي، يعني وجودك معايا ملهوش لازمة.

المخلوق : هو أنا قاصد أزعلك؟! أنا بحاول أسعدك.

- مش عايز خبث، أنت فاهم وأنا فاهم ايه اللي بينا بالظبط.

المخلوق : كل ده عشان بحاول أسعدك؟! أنا غلطان فعلًا، متجيش تشتكيلي عن معاناتك تاني.

- في ستين داهيه.

هدووء هدووء..

أقلق مجددًا بكثرة من النوم وكأن ذلك اللعين سيتمادى أكثر بأحلامي ولكن استهلاك الأعصاب واضطرابات نبضات القلب تؤلم، أظن أنني استسلمت للنوم، أغمضت عيني مستلقيًا وكأنه تم ذبحي من عاهرة مأجورة بعد مضاجعة ساخنة، أرى الآن ظلمة ويتم ظهور كلمات بلون رمادي مشع قليلًا وسط سواد الظلام..

- أنت لعين..
■ مش لوحدي اللي أذيتك زي ما بتقول..
- أنت خسرت الكل..
■ محدش حبك يا مكروه..
- أنت غير سوي..
■ أذيت غيرك لي طيب يا ملاك؟!
- أنت مشوه نفسيًا..
■ سامع صوتي وأنا بكلمك؟
■ طب مش حاسس بالجرح اللي على صدرك؟!
- لا ما أنا مش هسمعك صوتي بس..
- أنت مهزوز.. ملعون..
- هتموت منتحر..
- مش هتعيش كتير..
- نهايتك تقريبًا على إيدي..
- لما تصحى اطمن على الجرح وامسح الدم..

استيقاظ بصراخ ويداي على صدري متحسسًا بالألم من تلك الكلمات التي حدثني عنها هذا الملعون، عيناي متفتحة فزعًا وأحاول أن أتمالك أعصابي بمقاومة حادة لن يسبق لي أن أتألم بتلك الأضعاف، أنهض لتحضير القهوة وصدري ما زال يؤلمني من آثار ما حدث لي من ذلك المخلوق الماسوشي، أشغل الموسيقى الهادئة بجانب قهوتي وأشعل سيجارة النيكوتين وأفتح نافذتي لبعض الضوء وأنهي ذلك الظلام قليلًا وأخيرًا بعض، الهواء النقي للغرفة، وينقطع أخيرًا حبل أفكار الظلمات ويختفي المخلوق اللعين عن أم عيني قليلًا لأنني متيقن من أنه دائم الظهور لي ولكن سأتلذذ بتلك اللحظة قليلًا لأجل نبضات

القلب المهلكة والأعصـــاب التي توترت وتدرجت للانهيار، أظن أنه يجب علي الذهاب للأميرة وأتهرب أكثر من تلك العتمة، أخذت حمامًا دافئًا وأذهب بمزاجيتي لها مســـتعدًا لأرى أميرتي الجميلة، ما زال الحراس يســـتقبلونني بود رائع ملفت للانتباه وأرى جميلتي من جديد ولكن لن اشـــتهيها بســـبب ما حل بي من قبل، الأمر طبيعي والجلوس معها لطيف والتســـاؤلات بيننا لأجل الاطمئنان عن البعض ولكن لا مواضيع لدي لكي أناقشها بها، والحديث كان يكثر منها ولا إجابة لدي ولاحظتالأميرة صمتي بعض الشيء متعجبة..

الأميرة : مالك ساكت كدا لي يا محمد؟

- شوية إرهاق في البيت بس أحسن دلوقتي.

الأميرة : أنت باين كويس بس اللي يركز يلاقيك تعبان شويه.

- أنت مش قولتيلي صحيح في بينا شغل؟ فين ده بقا؟

الأميرة : ما أنت شغال اهو، مستعجل على أي جديد.

- بتهزري؟!

الأميرة : يا عم أنا جبتك بحجة الشغل عشان أعرف شخصيتك أكتر وأتقربلك.

- قولي كدا!

الأميرة : عندك مانع؟

- يا باشا ده احنا عنينا..

وأعتذر من أميرتي.

- أظن أنني احتاج أن أجلس بالكافيه قليلًا للذهاب.

نهوض

وأنا في طريقي للمقهى يأتيني شعور اللذة بأن أتصل ب (سامح) واشتياق لسماع صوته بعد ثاني إهانة له مني، تلك تعتبر من لحظاتي السعيدة بعض الشيء..

جالس بالمقهى وأمامي فنجاني الخاص وأشعل سيجارة رائعة وأبدأ بمسك هاتفي بمتعة لأتلذذ بشماتتي للظالم..

- الو؟

سامح : عايز ايه يا محمد؟

- أي ده سامح! تصدق عرفتك من صوتك، معلش بالغلط أصل أنا مش مسجل رقمك أصلًا.

سامح : أنت متصل تشمت ولا عايز ايه بالظبط؟

- يعني أنا هشمت فيك أنت يا سامح، أنت شخصية لا تُذكر.

سامح : لي الغلط ده يا محمد؟ ده كويس إني مردتش اللي عملتو المرة اللي فاتت.

- متعرفش تعمل حاجة وأنت عارف كدا كويس، يبقا تلم لسانك اللي فات ميتكررش وتحترم حدودك معايا عشان...

سامح : قولي عايز أي يا محمد؟

بقمة سعادتي الآن وأنا أقفل المكالمة بوجه سامح، لا أعلم لم يصدر مني ذلك الشر وأستمتع به ولكن سامح يستحق إهانة أكثر من الذي صدر مني، أتلذذ برشفات قهوتي الغامقة الآن ويأتي أمام عيني (شادي) يسير أمامي ولقد لاحظني وانتبهت تحركات قدما بأنه سيتقدم نحوي ليجلس معي ولكن بدون أي مقدمات نظرت لأعينه بغضب

وكأنني بالفعل أرى (مثلي) عن الطبيعة والواقع وها هو شـــادي ينظر لي بتعجب ورعب أمامي ثم خطوات قدميه تبدأ بالارتعاش أمامي ثم رفع يديه إليّ للسلام وأرفع يدي له وما زلت أحدق له بنظراتي وذهب شـادي مكملًا سـيرًا بعيدًا عني وهذا بالفعل ما كنت أتوقه بعد رد فعلي له، ولكن متى أصبحت أنا بذلك الغضب؟ وردود أفعالي غير المتوقعة وتلذذ الشماتة بالرغم من أن ذلك الشخص ظالم..

أظن أن بعض النرجســية قد حلت بي وســتكون ردات فعلي غير لطيفة للغير متحضـرين، القسوة تتولد من جديد بي بعد سنتين ونصف كنت أفارقها لكثرة المشاكل، يداوي قلبي قليلًا بالقسوة وأتحسس بالقوة وإن لن يردعني شيء مهما كانت قوة رد فعلها، أشتهي مخلوقي اللعين الآن لكي ألتهمه بقســـوة، حان موعد الذهاب للمنزل وأترك حســـاب قهوتي متحمسًا لأي فعل لا يعجبني من أي مارة من البشر سواء كانت صافية القلب أم ملعونة الشر ولا أبالي القوة الغادرة وليكن بأنها غاشمة القسوة، يأتيني شعور غريب جديد باشتياقي ل (ريم)

- الو..

ريم : عامل ايه؟

- مش وقته، تعالي حالًا عندي مشكلة..

ريم : في ايه؟! ايه اللي حصل؟

- تعالي بسرعة قولتلك.

ريم : تمام، قدامي ساعة.

- تمام.

أفتح الباب لريم..

- خلي بالك وبراحة كدا عشان في قتيل في الأوضة.

ريم : نعم!!

- لا بقولك أي أنا مش ناقص خض، خشـي بصـي عليه عشـان أنت تعرفيه.

ريم : لا مش داخلة، قولي مين بس وهمشي.

- يا ريم خليكي جنبي شوية بقا، بعد إذنك ادخلي.

تدخل ريم الغرفة برعب شديد..

ريم : فين ده يا محمد، أنت بتضحك عليا؟

أقفل باب الغرفة على ريم..

ريم : محمد أنت بتعمل اي؟

- عشـان تمشـي كويس من غير ما تقوليلي، أنا بقا هعاقبك على اللي انتي عملتيه ده.

ريم : خلاص أنا آسفة بس افتح .

- هتعملي كدا تاني؟

ريم : حرمت بعد ما قطعت خلفي.

- هسامحك بس عايزك متخرجيش من الأوضه.

ريم : حاضر يا محمد، يلا عشان أنت خوفتني.

افتح الباب وأرى عينيها الرائعة وهي تنظر إليّ بغضـب ومسـتعدة لكي تنفعل بيديها ولكن سبقتها بالاحتضان وتبادلت معها القبلات بلطف وأظن أن هناك وحشًـــا جديد يتم تكوينه بداخلي، الهدوء بالعلاقة دائمًا تكون بالبداية وبعد ذلك العنف من داخلي يثار ويبدأ المعركة التي أظن أنها ستطول وقتًا عن أي وقت مضى، والوقت يدوم بالمعركة حتى بعد انتصاري بها ولا أبالي للضحية التي أغتصبها وصراخها يتعالى علي وأتلذذ بتألماتها.. يبدأ الحديث بعد المعركة..

ريم : أنا مش هعمل حاجة لخمس سنين قدام.

- متأكده؟

ريم : تعبانة منك يا محمد.

- شوية وهتكوني كويسة متقلقيش، قومي اعمليلي قهوة.

ريم : عيوني ليك.

احضرت لي ريم فنجان قهوة وأنا جالس على فراشي وأنظر للنافذة التي ينبع منها ضوء الشمس وكأنني لم أرَ الضوء ولن أتحسس بوجوده منذ فترة كبيرة، تتعجب ريم من نظري للنافذه وأنا أتأمل وتتســـاءل أسئلة ساذجة قليلًا وأجاوبها بتلقائية هادئة..

ريم : شكلك متغير يا محمد بس أنا شايفة إنك متغير للأحسن.

- حاجة زي كدا يا ريم بس مظنش للأحسن أوي .

ريم : ازاي طيب؟

- في حاجات كتيرة مستخبية وللأسف المستخبي ده مش مفهوم، أنا بحاول أدور على تفسير بس مجاش معادو تقريبًا..

ريم : تعرف يا محمد، أوقات بحس إنك غامض من نفســـك وأوقات بحســـك عاوز محدش يفهمك ومعرفش ايه متعتك في ده ولا عارفة أحدد ايه اللي في دماغك.

- مش لازم يا ريم، مش لازم أي حد يعرف عني حاجة.

ريم : أنت تهمني يا محمد، ولا نسيت احنا بيننا اي؟!

- مش هرد عليكي، بس مقولتلش أي الفنجان العظمة ده؟!

ريم : ثبتني كويس أوي.

- خلاص يا عم هسكت خالص.

ريم : لا دلعني شوية.

- لا مبقاش في الكلام ده.

تحتضـــنني ريم بكامل مشـــاعرها اللطيفة وأعلم بأنني أســـتطيع أن أستخلص منها بتلك اللحظة أي شيء أريده ولكن حقيقته لا أبالي

ريم : أنا همشـــي بقا عشـــان ورايا شـــغل وأنت عطلتني ولازم أنام كويس.

- تمام، خلي بالك من نفسك وتطمنيني عليكي.

ريم : وأنت كمان، سلام يا حبيبي.

- سلام..

ذهبت ريم لمنزلها وأنا ما زلت جالسًا على فراشي أشرب الشاي والسجائر استشعرت شيئًا أعرفه يحاول أن يدخل الغرفة ولكنه خائف بعض الشـــيء، ذلك مخلوقي اللعين واقفًا عند باب الغرفة ينظر إليّ بخوف ويطلب مني غلق النافذة ولكن أرفض طلبه ولا أبالي له ويبدأ حديثه معي..

المخلوق : مش عايز تقفل الشباك لي؟

- أنا حر.

المخلوق : بس أنا عايز أقعد معاك حبة، أنت لي بتأذيني؟

- أنا مجتش جنبك، أنا حابب أخلي الشباك مفتوح.

المخلوق : شـــوفت بقا اللي عملته فيك خلاك قاســـي ازاي وبقا مش هامك أي حاجه.

- مش متوقفة عليك، ده بمزاجي أنا.

المخلوق : بتهيقلك، أنا قسوتي بتقويك.

- بتهيقلك أنت، أنت أصـــلًا من خيالي يعني أنا قادر أخليك موجود وقادر أنهيك بنفســـي وقادر أخليك دلوقتي واحدة عجباني وأنام معاها، يبقا بلاش تتحداني عشان متتأذيش وتنقي كلامك معايا..

المخلوق : أنت اتغيرت جامد يا محمد، بس أنا عاذرك.

اللعين كان يظن أنه متواجد معي رغمًا عن أنفي ويريدني أن أدرك بأنه واقعي ولكن بعد أن حدثته أصابته حسرة قوية ورأى مني رد فعل لم يظنه أبدًا، ذلك هو أنا أخلق ما أريد وأسيطر عليه بالوقت المناسب لي وليس لأحد، أنا فقط القادر على مخيلاتي التي ظنت أنها واقعية وأنهي عليها بالأوقات التي تعجبني فقط، نوم مريح وهادئ وثقة بالنفس وقوة داخلية جديدة جاهز لأن أقسو على أي كائن أتحسس منه بلؤم بسيط.

استيقاظ لطيف، افتح النافذة، أخذ حمامًا، أحضر قهوتي والصباح الآن مشرق بالفعل منذ أمس، رشفات القهوة ممتعة للغاية وتصاحبها تنفسات الدخان الرائعة وأتشوق ل أميرتي، أخذ خطواتي للذهاب لأميرتي (ليل) المبجلة وهي أمامي غاضبة قليلًا مني.

- مالك يا (ليل)؟

الأميرة : زعلانة منك ومدايقة أوي.

- لي بس كدا، ده أنا جاي أشوفك عشان وحشاني.

تنظرالأميرة إليّ ويغمر ها بعض السعادة ووجهها يظهر خجلها اللطيف الذي مال للأحمرار قليلًا.

الأميرة : وأنت كمان وحشتني اوي.

- مش هنتغدى النهاردة ولا اي؟

الأميرة : الأكل جاهز على طول وأنت اللي بتمشي

- طب أنا جعان.

الأميرة : استنى بس الأكل بيجهز وهيتحط كمان خمس دقايق تقريبًا.

- يا عم ماشي، عايز أقولك سر غريب حبه.

الأميرة : طب ما تقول.

- أنا جعان..

الأميرة : وأنا اليّ افتكرت هتقولي كلمة حلوة**!**

- مليش في المحن للأسف.

الأميرة : طب يلا ناكل عشان حاسة إني هتعصب.

- نعم**!**

الأميرة : بقولك جعانة

- آه، فل..

جلوسنا على مائدة الطعام ونبدأ بالتناول وأحدثها عن بعض الأفلام الخيالية التي أعشقها والعلاقات التي تؤثر بي بالأفلام الأسطورية كلما أشاهدها، الانتهاء من تناول الطعام وأطلب منها أن نذهب للغرفة للارتياح قليلًا وأظنها كانت منتظرة ذلك الطلب مني، أظن أن أميرتي (ليل) حزينة قليلًا وتريد أن تفيض بمشاعرها لي، دخلنا الغرفة وتنظر إليّ أميرتي بحزن وعيناها تأخذ وضع الاستعداد للبكاء واحتضنها برفق لكي تهدأ ثم أتلامس وجهها بيديّ برفق وأنظر لعينيها وتبدأ تتحكم قليلًا بشفتيها حتى لا تصدر همهمة الحزن وتحاول أن تتمسك بدموعها، أحرك جسدها تحركًا سويًا ببطئ للفراش لنجلس عليه وبدأ حديثي المستغل لبعض الأوقات المناسبة..

- مالك يا (ليل)؟

الأميرة : أنا كويسة، أو هكون كويسة عشان أنت معايا.

- بيا أو من غيري هتكوني كويسة.

تفتحت أعين الأميرة فجأة وانســـحبت منها دمعة من عيناها الرقيقة ذات الرموش السوداء المتناسقة..

- أنا مش هبعد، أنا قصدي لما أموت.

الأميرة : لا مش هتموت.

- لا كدا بنستعبط بقا ونهارنا أبيض .

الأميرة : أنا لي محبتش زي باقي البنات؟!

- إيه ده، يعني محبتنيش؟

الأميرة : مش قصدي ده، بس أنت ليه جيت متأخر؟

نعم!!

الأميرة : أنا قصـــدي لي مجتش من بدري وتحســـســـني بالحب اللي حبيتهولك ده؟

- اااه، لا بصـي بقا وافهمي بالعقل كدا إنك لسـة صـغيرة واديني جيت اهو، يعني الزعل ده ملهوش لازمة دلوقتي وفي حاجة مهمة عايزك فيها.

الأميرة : حاجة إيه؟ أنت أؤمرني بس.

بعد الانتهاء من معركة حميمة أخرى.. مستلقيًا على الفراش والأميرة نائمة على صدري وأشعل سيجارة وأتحسس ولكن أشفق على نفسي بأنه سيتولد شر بداخلي وأريد أن أتحكم بنفسي حتى لا أظلم بريئًا وأشعره بقسوتي، أريد تخزين الشر المتولد لمن يستحقه مثل سامح وأظن أنني سأواجه شخصيات كأمثاله ليتم اشتباعي قليلًا من تلك الحاسة العفوية، انتظر اللؤم والظلم سواء أكان لي أم لغيري من العامة، تلاحظ أميرتي تفتح عيناي وكأنني غاضب من شيئًا ما ويبدأ حديثها متعجبة..

الأميرة : أنت بتخطط لحاجة معينة؟

- الوقت هيمر بينا وهتعرفي بفكر في أي من غير ما أقولك

الأميرة : وضحلي الأمور.

- مينفعش، لازم تفهميها لوحدك.

الأميرة : آه يعني مطلوب مني أنجم!

- ولا تنجمي ولا حاجة، بصي هقولك حاجة بسيطة.

الأميرة : ها..

- اللعب كلو في العقل، دلوقتي أنا بمر بفترة ترتيب حسابات لأجل مستعد لأي حاجة تواجهني، بس في حاجة بتقولي نهارك أزرق على اللي هيحصلك وأنيل على اللي هتعملو..

الأميرة : أنا ممكن أحللك كل ده وسهل جدًا.

- مينفعش، أنا مبحبش السهل ولازم أمر بتجاربي بنفسي وواثق إني هكسب فيها كدا كدا.

الأميرة : ماشي يا محمد بس لو حصل حاجة لازم تبلغني ومتنساش عشان مزعلش منك.

- عيوني ليك.

طلبت من الأميرة أن نذهب سـويًا لكافيه يكون أمامنا بحر نطيل به النظر، انغمر قلبـالأميرة بـالسـعادة وكـأنهـا طفلـة تلون البيض بعيد الفصح، استعدت أميرتي بفستان لافت القلب قبل النظر وظهور ظهرها المتناسـق يلفت انتباه عقلي بالجنون وكتفيها الناعمتين وحذاء ذي كعب مرتفع ونبدأ سـباق السـعادة، نذهب للسـيارة الخاصـة بالسـائق ونجلس بالخلف بجانب بعضـنا البعض وأحدثها وأنا اتداعب بأصـابعها المغطاة بالسـكر، الممتع أن لا حرس معنا حتى لا يحدث خلل بسـعادة أميرتي وها قد وصـلنا للكافيه ونجلس على طاولة محجوزة بمكان مميز أمام جمال البحر الواسـع الذي أتلذذ النظر لأبعاده وتم صـنع الآن جلسـة رومانسية مع أميرتي المبجلة.

تغمرني القوة قبل السـعادة وما زال اسـتعدادي لأي مواجهة قائم بداخلي وأتعجب من حماسـي الغريب بعض الشـيء، كلمات لطيفة وحديث رائع بيني وبين أميرتي والضـحكات تتعالى، بين كل ذلك الحديث الذي لم أمل منه ألاحظ شـابًا جالسًـا بقرب عيني وحيدًا أمامه لاب توب يعمل عليه وكأن يكتب شيئًا وملابسه أنيقة واختياره للألوان الغامقة كاختياري لها ولكن أتعجب من أنه لا يقصر شعر رأسه بالرغم من أناقته به، الحدث الداخلي بي الآن كأنني أنظر لنموذج من ذاتي منذ خمس سـنوات، ذلك الشـاب الانطوائي الذي انعزل عن العالم ليهرب من المسـاوئ التي مرت وسـتمر به، وكأنني أريد أن أحدثه وأعطيه نصـائح ليمر بها ويسـتعملها بحياته ولكن لا فائدة من ذلك ويجب أن يمر بالصـعاب أكثر ووحده تمامًا حتى ينضـج بذات نفسـه، ادعو الله سـبحانه أن يخفف من آلامك يا رفيقي وأن لا تضـل طريقك بالحياة مثلما فعلت أنا فإنني مذنب بأفعالي وخيالاتي وأتحمل عواقبها مع الوقت الذي يمر والذي مر بي وأسأل الله أن يخفف عنك وتهدأ روحك وتسـتقر بدنياك، تلاحظ أميرتي بتحديقها غير اللافت للانتباه وتنظر إليه وتحدثني بتلقائية...

الأميرة : شبهك أوي يا محمد.

- مش لطيفة.

للأسف آه.

الأميرة : حاسة إنك دخلت جواه ولقيت إن حياتك معاه.

- المشـــكلة يا (ليل) من الهروب، الهروب مش دايمًا صـــح سلبياته.

الأميرة : هيعمل أي بس يا محمد، أنا شـــايفة إن لو مش هيعرف يحل مشاكله يبقا يهرب.

- مش ديمًا صدقيني.

الأميرة : أنا لما شوفتك حسيتك مني.

- احتمال يا (ليل)، مش أكيد برضـــه لأن الوقت ممكن الواحد يتخدع في اللي قدامه.

الأميرة : أنا وثقت بيك وخلاص.

- ربنا يديم بينا الخير يا (ليل).

الأميرة : ويديمك ليا.

نبض قلبي بعد اســـتماعي لدعاء (ليل) لها وكأنني فريســـة الحب الآن، أظن أن نبضات القلب العمياء ستبدأ ويدور برأسي الآن موسيقى للموســـيقار (عمر خيرت) من فيلم (خلي بالك من عقلك) وأطلب من أحد العاملين بالكافيه أن يتم تشـــغيل تلك الموســـيقى، تتعجبالأميرة من طلبي وتبدأ الموســـيقى ورد فعلي ببدايتها تجعل رأســـي تتحرك بهدوء وأهم بالآلات الموســـيقية التي بها وشـــفتاي تبتســـم تلقائيًا وألاحظ بأن

الأميرة سعيدة برؤيتها لي وأنا أشعر ببعض الراحة لها بسعادتها لي وذلك ما أيقنني بأنها غرقت بالحب أكثر من اللازم لدرجة أنها مستعدة لأطلب منها الزواج قريبًا، أطلب منها أن نرحل سويًا وتحزن لتحسسها بأن الوقت بيننا مر مسرعًا بالرغم من كثرة الساعات التي مضيناها سويًا، ونحن ذاهبين للسيارة لأجل الرحيل قد تركت ورقة صغيرة للنادل ليعطيها للشاب كنصيحة مني له لبقية حياته مكتوب عليها (إياك أن تضحي للحبيب قبل القريب، اختر ما يُحسن نبضات قلبك للأفضل وإن كانت مقابلها خسارة الجميع، لا تخلق عبثًا بعقلك)..

كم أردت أن أتحدث مع ذلك الشاب وأغمره ببعض الضحكات، ولكن عليه أن يتيقن بوجودية الخير البسيط بدنياه وسط المخلفات التي تكاثرت بعفوية، تتمسك أميرتي بيديّ وأنا بجانبها بالسيارة وأنا أنظر متأملًا للطريق من نافذة السيارة وأصابعي تحتضن أصابعها بتلقائية ويبدأ حديثها لي..

الأميرة : أوعدك هتكون أسعد إنسان في الدنيا معايا.

- متوعدينيش يا (ليل) مش كل الوعود بتحصل.

الأميرة : أنا عايزاك سعيد، لازم تحاول معايا.

- المشكلة فيا أنا، مش فيكي متقلقيش وأنا مبتغيرش غير بإرادتي.

الأميرة : يعني أنت مزاجك مش معايا يا محمد؟!

- مش قصدي، الظروف اللي هتمر بينا هي المتحكمة يا (ليل).

الأميرة : ربنا يديمك ليا.

اضـغط أكثر بأصـابعها ولا أعلم الآن نفسـيتي بأي حال سـتسـتقر للحزن أم للسعادة، هناك تشويش غريب يحدث ولكن يقيني بأن الوحش المتولد بداخلي يتضخم حجمه، أظن أنني أستعد لمساوئ العالم لتفهمي بأنها ستكثر وتصبح ضجة عارمة لن يستطيع أحد أن يسيطر عليها، تخدعني أميرتي ويتم اتجاهنا للقصـــر وتحاول تقنعني لأن أبيت معها للصـباح على الأقل وتم قبولي عرضـها لاشـتهائي بالنوم بأحضـانها الراقية، طلبت منها أن تحضـر لي قهوة وأن نسـهر سـويًا على الفراش مع مزيج الأغاني الهادئة، أحتضـنها وأتحسـس نبضـاتها الجميلة التي تنبض برقة عقارب السـاعة وتسـتلقي عليالأميرة بهدوء تام وعيناها تغرق بالنوم، قبلت رأسـها ثم شـفتيها برفق حتى تطمئن بأنني متواجد معها وأراها كقطة نائمة بمجرة غير المجرات التي درســنا عنها من قبل، تشـبيهاتي لإعجابي بها غير كافية ولكن ما زلت المنتظر لسـوء الأحوال، أسـتيقظ من نومي و ها هي أميرتي **(ليل)** أرى ما جهزته أمامي من فطور وبجانبه فنجان قهوة بجانب فنجانها، ذلك الفنجان جميل الشـكل وكأنها فهمت ذوقي لبعض النسـب المئوية، فنجان أبيض اللون منقوش عليه بالسـواد كوكب الشـرق (أم كلثوم) وقد لطخت أميرتي ببعض الحب علي لاختيارها الفنجان، أتلذذ بأول رشفة وبعدها أقبل أميرتي وأنا احتضنها وكأن تم ولادة شهر العسل اليوم بيننا، أترك الفطور وأتلـذذ بقهوتي مع دخـان النيكوتين المحترق والمحبوس بين الأوراق الرقيقة وأنا متمسـك به بإصـبعين وتبدأ أميرتي **(ليل)** بالحديث..

الأميرة : أنت أي رأيك تفضل معايا أسبوع على الأقل.

- لا كتير أوي، أنا أصلًا شوية وماشي.

الأميرة : محمد متهزرش! وبعدين كويس إنك فكرتني إن ده شـــغل ولازم تعمله.

- أنا محدش يجبرني على حاجه.

الأميرة : مش بجبرك، أنا محتاجاك.

- أنا ديمًا موجود وهنخرج سوا تاني كدا كدا.

الأميرة : اللي تشوفه يا محمد.

- أنت عارفة إني مش عارف أشبع منك أصلًا.

الأميرة : باين أوي..

- بكلمـك بجـد، المشـــكلـة في حـاجـات بفكر فيهـا ولازم أجهزتها لوحدي.

- **الأميرة :** ماشي، بس مش مسامحاك يا محمد.

- متأكدة ؟

الأميرة : مش أوي.

- عارف ده..

أرحل للمنزل وأفكر بأميرتي لحزني لها بأنني رحلت عنها ولكن سيتم مداواة حزنها فيما بعد، أنظر للمقهى وأشتهي جلوسي به قليلًا وألاحظ شابًا مع فتاة وأظن أن بينهما علاقة ما ولكن لست مطمئنًا لما بينهما، أجلس على طاولتي الخاصة بالمقهى لأتحسس أي رد فعل منهما غير لطيف بالرغم من أنني لست من النوع الفضولي ولا أتحبب ذلك التصرف ولكن هذا الفضول اختلف لأحساسي بأن مكروهًا سيحدث، بعد فترة ليست صغيرة من الوقت لاحظت بأن الشاب يقبض على ذراع الفتاة بعنف ولكن لم أتدخل الآن إلا إذا تطور الموضوع أكثر حتى أن لا يكون موقفي بينهما محرجًا، ألاحظ عنف الحديث بينهما والفتاة عيناها تسيل دموعًا، بدأ العنف من الشاب بالقبض على وجه الفتاة بأصابعه حتى تحسست الفتاة بتألم شديد ولاحظت نبرة صوتها المتألم ثم نهضت بطريقة هادئة وجلست أمامهما على كرسي طاولتهما وينظران إليّ بمتفاجئين بتدخلي وتبدأ نظرات الشاب بالغضب ويبدأ سؤاله لي..

الشاب : نعم حضرتك؟

- مشكلة هنا وأنا هحلها سواء بمزاجك أو غصب.
- أنا شايف إن في عنك.

الشاب : أنت تعرفني؟!

- لا معرفكش بس أنت اللي هتعرفني.

الشاب : اللي هو ازاي، بعد إذنك امشي من قدامي بدل ما يحصل مني رد فعل زباله..

- أنت متأكد من كلامك ده؟

تلقيت نظرة الفتاة وكأنها أرادتني لأنقذها وبعد نظرتها بعينيها وهي تنظر لهاتف الشـاب وكأن بداخله شـيئًا يهددها به، بعد ملاحظتي ذلك نهضـت بهدوء وأسـير ببرود أمام الشـاب وأتمسـك بشـعر رأسـه بقوة بيدي اليسـرى وأصـفع وجهه باليمنى وتتاولى الصـفعات على وجهه بقوة عازمة وعنف وأخذت هاتفه بينما كان يتألم ويتمرجح برأسه معي وخبأته بجيبي، هدأ الشـاب و أراد أن يسـتلقي على الطاولة لعدم قدرته على تحمل المزيد ثم أقترب من أذنيه وأقول له بهدوء تام (إياك تظلم حد نهائي عشـــان هتلاقيني أنا العقاب)، أخذت الفتاة من يديها وذهبنا سويًا نبحث عن مقهى آخر لنجلس وأتفهم القصة ولما حدث ذلك العنف وما الذي بداخل الهاتف وهي خائفة منه، جلســـنا وبدأ حديثها بعد أن سألتها عن اسمها وأحببت اسمها اللطيف (**منار**)..

منار : أنا مش عارفة أشكرك ازاي.

- براحة كدا بس وكفاية عياط عشـــان أفهم براحة موضـــوعك وأديكي التلفون.

منار : هقولك الصراحة كاملة بس متاخدش عني فكرة وحشة.

- اتفضلي..

منار : احنا المفروض مرتبطين وبنحب بعض جدًا وخلاص هنتخطب وكان (**رضـا**) من فترة كبيرة بيحاول يقنعني أجيله شـقته وهي فاضية..

- وأنت روحتيله وصورك؟

منار : روحت كتير..

ابتسمت متعجبًا لها بتلقائية وقد تم وضوح الأمر لي أكثر من اللازم وأنتظر تكملة حديثها بالرغم من أنها تحســـت بالحرج الشـــديد.. - اتكلمي برحتك، كدا كدا مفيش حد مبيغلطش.

منار : أنا هعمل كل اللي أنت عايزه مقابل إنك تديني التلفون.

- بتعرفي ترقصي؟

منار : نعم!

أضـــحك بقوة هســـتيرية من رد فعلها لســـؤالي وبأنها لن تتفهم بأنني امزح..

- لا لا بهزر، بس أنت عارفة الباسورد ولا لا؟

منار : آه، همســـح صـــوري وفيديوهاتي وغير حاجات البنات اللي ملهاش ذنب في ده كله..

- يا بنتي بقولك عارفة الباسورد الأول؟

منار : أيوة عارفة والله.

- طب بصي احنا هنعمل حاجة أحلى.

منار : إيه هي؟

- هنعمل فرمطة للجهاز وكل حاجة منو تتمســـح ورجعيله التليفون أو أنا أرجعه بمعرفتي، ولا أقولك أنا هرجعه بعد ما نفرمط الجهاز سوا..

منار : تمام.

تم فتح الهاتف وتمت إعادة ضـــبط المصـــنع به وتم مســـح كل ما بالهاتف وأصـــبح شـــبه جديد أمامي، شـــكرتني **(منار)** كثيرًا وأخذت رقمي حتى تصل لمنزلها وأطمئن عليها من خلال مكالمة منها وسعدت عندما رأيت ملامح السـعادة بوجهها عندما أيقنت أن لا شـيء سـيهدد أنوثتها بالمجتمع.. ما زال الهاتف معي وذهبت منار لمنزلها واتصـلت بي وتطمئن على ســـلامتي وقد تم اطمئناني عليها، وأنا في طريقي للمقهى التي أعشـقها وحدث منها ذلك الموقف المثير صـدر صـوت هاتف **(رضـا)** وأرد عليه وبعد مجادلة مع المتصـل علمت من أنه والد رضا.

والد رضا : هو رضا حصله حاجة؟!

- لا خالص أنا عايز من حضرتك نتقابل دلوقتي.

والد رضا : تمام، ادِني العنوان.

بعد أن أعطيت عنوان المقهى لوالد رضـــا انتظرته لمدة نصـــف ساعة حتى جاء وبدأ ترحيبي له ثم الحديث..

- اتفضل حضرتك تليفون رضا أهو.

والد رضا : طب هو رضا فين ولا أنت لقيت التليفون فين.

- حضـرتك أنا خدت تليفون رضـا غصـب عنه بس افهم معايا القصـة الصـغيرة دي، أنا واحد بيكره الظلم وبالذات لو هتأذي بنت ملهاش ذنب غير إنها وثقت في شـخص، ابن حضـرتك كان مرتبط بواحدة وكانوا قاعدين في الكافيه هنا لغايت ما حســيت إن في حاجة غلط وادخلت لكن بعنف، بعد ما أخدت البنت بعيد عنه فهمتني إنهم غلطوا سوا وكان بيهددها بصور وفديوهات..

أرى الآن أعين والد رضـا متحسـسـة بالحسـرة والغضـب من ابنه ومن ثم يكتمل الحديث.

والد رضا : مقتلتوش ليه؟!

- مش كدا، أي حد بيغلط عادي وأكيد لما يكبر أكتر هيندم على اللي عمله، هو محتاج بس حد يفهمه ان الظلم وحش وهييجي اللي يردهوله ولازم يخاف أهله من المشاكل.

والد رضـا : جدع وأنا ليا حسـاب معاه، كتر خيرك فعلًا، أنت راجل، البيه ده بس لما أشوفه.

- ربنا يبعد عنكم الشـر، أنا دفعت الحسـاب وهسـتأذن حضـرتك عشان محتاج أنام.

أخذني والد رضا بأحضانه ويكثر منه الشكر بأنني أعلمته ذلك عن ابنه حتى يتفهم الخلل الذي به ويتم تصـــحيحه، والآن أذهب لمنزلي متمشيًا على قدميّ وأتحسس بشيء يضغط على قدمي، شيء لا أتفهمه ما زال يلتف حول قدمي بقســوة، وأقف زاعرًا ولكن لا رد فعل يظهر ذلك أمام العامة **ثم يأتيني صوت خافت بأذنيّ يقول :**

(ازيك يا ملعون).

أتحسس بكدمة كتفي من تلك الرصاصة التي أصابتي منها من قبل وطعنات حادة على ظهري والآن عاجز عن الرحيل وما زلت أتفقد عقلي وأحارب بالتفكير لكي أرحل للمنزل مســرعًا، فجأة ظهر أمامي المخلوق الملعون والقدرة لا أعلم من أين أتت لكي أتحمس بقوة عفوية لكي أقتله وأرى بيدي خنجرًا حادًا وأُسرع باتجاهه حتى أطعنه وعندما تمسكت به لكن أضغط على قلبه بالخنجر..

اسـتيقاظ غريب من النوم ويجلس أمامي المخلوق اللعين، ذلك الحلم تم تكوينه بذكرى الشــاب الذي حدث بنومي حتى أتيقن بأنه واقع وأتألم يبدأ حديث المخلوق اللعين..

المخلوق : قوتك دي ظهرت أمتى وأزاي؟ أنت كنت عايز تقتلني !

- أنت لسة مش مقتنع إني بخليك موجود بمزاجي؟

المخلوق : أنا منك، مينفعش أموت.

- أنا الوحيد اللي متحكم بده.

المخلوق : مع الوقت هنشوف

- مش حاسس بحاجه؟

المخلوق : حاجة أي؟

- كتفك مثلًا..

يقبض المخلوق بيديه على كتفه متحســسًــا بألم شـديد ويسـقط على الأرض ويصرخ متوجعًا..

المخلوق : أنت عملت فيا أي؟!

- شــوفت بقا أن أنا اللي قادر عليك، لأنك يا غبي من خيالي أنا وأنا اللي خلقتك ومهما تتمادى بنفســك أنا المتحكم بيك ومهما أقنع نفسي بيك برضه بمزاجي..

المخلوق : أنا صحبك، أزاي تعمل فيا كدا؟!

- أنا مليش أصحاب..

يختفي المخلوق اللعين من أمامي وأحضـر فنجان قهوتي وأضـعها على طاولتي الخاصـة بغرفتي وبجانبها سجائري وأتركهم لآخذ حمامًا وأصـفي ذهني قليلًا بالماء الدافئ، بعد الانتهاء من الحمام اللطيف أذهب لغرفتي وأتعجب من فنجاني، هناك أثر رشفة مأخوذة من القهوة وأعلم بأن لا أحد معي بالمنزل ولكن لا أبالي وأبدأ الرشفة الأولى مني الآن وأشـعل سـيجارة وأنتظر أحدًا أن يأتي من ظهري لكي أتفهم من تدخل بدون علمي وأخذ الرشـفة ألأولى، أسـتمع صـوت أعرفه جيدًا يرحب بي:

(وحشتني يا محمد)..

ما زال الصـمت يتملك مني وأحاول تمرس عدم الانتباه حتى لا ألتفت لها، ذلك صـوت سـاحرتي السـمراء (وسـام)، نزفت دمعه من عيني وأحاول أن أتحجر بقلبي أكثر وهي تكمل كلماتها المتغيرة..

وسام : مش راضي تبصلي لي يا محمد؟ أنا زعلتك في حاجه؟!

كل حرف من تلك الحروف التي أسـتمع إليها وكأنها تنبض بقلبي بعفوية وأحاول السيطرة عليها بقدر المستطاع، أتحسس باقترابها مني وتبدأ بأن تواجهني أمام عيني وأتفاجأ بخدعة ثم خداعي بها..

- ريم!!

ريم : أنت زعلان مني؟

- لا يا ريم، أنا بس تعبان شوية وبعدين أنت دخلتي أزاي؟

ريم : ما نسخة المفتاح معايا على طول، ايه الجديد؟

- معلش أصلي نايم خالص ولسة مفوقتش.

ريم : أنا يادوب شربت بوق قهوة واستخبيت عشان أخضك بس ملقتش منك أي رد فعل غير أنك أسـتغربت بطريقة بسـيطة ودلوقتي عينك مدمعة..

تمسح ريم عينيّ تحتضنني بلهفة، أجلس على كرسي وكأنني أفتقده كثيرًا من كثرة نومي بـالفراش، تجلس ريم علي وتتقرب وجهي والاحتضـان منها كان لطيفًا بعض الشـيء، تأتيني رسـالة على الهاتف وريم تعطيني هـاتفي لكي أتفقد الأمر، تلك الرسـالة مكتوب عليها (عندما نحتاجك سـيتم اسـتدعائك للقصـر)، لا أظن أنه الخذلان الذي كنت أتوقعه، أنني أتيقن أكثر بأنالأميرة تعاني من بعض المشاكل وهي تريدني أن أكون خارج الصورة، أترك الهاتف وتتساءل ريم عن معنى تلك الرسالة ثم أدعوها بأن لا تبالي للأمر.

تصـرفات شـبه منطقية غير مرغوب بها، المسـاوئ تحاوط الرأس كأنياب التمسـاح التي قادرة بالالتهام العضـوي المفاجئ، ما زالت خدع العالم تتكاثر وتؤذي نفسـيات تحاول الانفصـال عنها، الذين مثلي يسـتحقون مجرة أخرى خاصـة لعقولهم الراقية وقلوبهم المشـعة بالأبيض، ارتياح الأبدان أصـبح أكثر من أي وقت مضـى، تأثيرًا من النبضـات التي تعاني من الأذى وما زال الثقب الأسـود اللعين يتلذذ بالألم الذي يقوم بدوره بي وأظن أنني ضـللت الطريق أكثر، تكوين الخيالات يتكاثر مع مسـاوئ الأحجية الكرويه، أرغب بأن لا أتفهم ما يحدث حولي وأجهل النيات التي خذلت من العالم، الأمر مروع كثيرًا بوجوديتي وصمت يصطحبه بكاء وافتفار حسن القلوب والمعاناة تؤلم بكثرة مبالغة.. ما زال الحلم يؤلم..

أعلم جيدًا أن تلك القصة لن تنتهي ولكن سيفي الأذى حتى الآن بعض الشيء على الأوراق، أعطيني وقتي ليتم ذكر ما سيحدث وحدث برفق وانتباه تام..

تمت،،،

الفهرس

ما بعد المقدمة..

- ترحيب
- استيقاظ ما بعد الاستيقاظ
- تراهات
- حسرة
- نهوض